International Jordanian Journal Aryam for Humanities and Social Sciences; IJJA
Volume1, Issue4, 2019

Anthropology of holiness, guardianship, and visiting shrines in Western Sahara, a theoretical approach and field study

Dr. Muhammad Al-Dahmi

Independent researcher from the Sahara of Sakia El Hamra – Algeria

Received: 5/9/2019
Revised: 8/10/2019
Accepted: 12/11/2019
Published online: 6/12/2019

* *Corresponding author:*
Email: dahmi.med@gmail.com

https://doi.org/10.65811/148
Citation: Al-Dahmi *M.(2019). Anthropology of holiness, guardianship, and visiting shrines in Western Sahara, a theoretical approach and field study . International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 1(4).*

©2019 TheAuthor(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online **2706-8455**

Abstract: Interest in the field of holiness, including visiting shrines, is realistically justified, because despite the changes and transformations of Sahrawi society, the belief in the blessing of saints and ancestors still inhabits the collective imagination, is widespread in the field, and its influence is clear in the construction and justification of many individual strategies. And collectivism. The focus on the field of production and the symbolic management of society's life falls within the framework of an understanding that considers that the stakes of conflict and social conflict are not always and necessarily economic. There is an important aspect of symbolic life that is the focus of intense conflict and competition, as power relations do not operate apart from relations of meaning. Also, the question about the ways in which the sacred is lived and exploited is necessary to realize and represent this concept, because the experience in which the relationship between the sacred and the profane is tested becomes an entry point to understanding the social dimensions of managing relations of power and meaning. Thus, positioning you in a social reality full of representations and symbols.

Keywords: Anthropology, holiness, state, shrines, Western Sahara.

أنثروبولوجيا القداسة و الولاية وزيارة الأضرحة في الصحراء الغربية، مقاربة نظرية ودراسة ميدانية

د. محمد الدحمي

الملخص: إن الاهتمام بمجال القداسة ومنه زيارة الأضرحة له ما يبرره واقعيا ذلك أنه رغم تبدلات و تحولات المجتمع الصحراوي، إلا أن الاعتقاد في بركة الأولياء و الأجداد لا زال يسكن المخيال الجمعي، و منبث في المجال، و تأثيره واضح في بناء و تسويغ كثير من الاستراتيجيات الفردية و الجماعية. كما أن التركيز على حقل الإنتاج و التدبير الرمزي لحياة المجتمع، يندرج في إطار فهم يعتبر أن رهانات الصراع والتدافع الاجتماعي ليست دائما و بالضرورة اقتصادية، فهناك جانب مهم من الحياة الرمزية يكون محور صراع و تنافس شديدين، فعلاقات القوة لا تشتغل بعيدا عن علاقات المعنى. كما أن السؤال عن الكيفيات التي يعاش بها المُقدس و يستثمر، يعد ضروريا لإدراك و تمثل هذا المفهوم، ذلك أن التجربة التي تختبر فيها العلاقة بين المُقدس و الدنيوي، تصير مدخلا لفهم الأبعاد الاجتماعية لتدبير علاقات القوة و المعنى؛ و بالتالي التموضع في الواقع الاجتماعي الغاص بالتمثلات و الرموز.

الكلمات المفتاحية: انثروبولوجيا، القداسة، الولاية، الاضرحة، الصحراء الغربية.

مقدمة الدراسة:

في البحث عن معاني المُقدس و الولاية و الصلاح:

قبل خوض غمار البحث عن القداسة و أولياء الساقية الحمراء، لزم التوقف عما تشي به القداسة و الأولياء، وما يحوم حول دوائر الأضرحة، وما يكتنفها من رموز و طقوس. فعلى ماذا يحيل المقدس(Sacred) بدءا؟

هناك عدة تعريفات تطرح كمرادفات لكلمة مقدس، إلا أنها تستند في الغالب إلى ما يقابل هذه الكلمة، بحيث يتم تعريف المقدس من خلال ما يقابله و ليس وضع اليد على مرادفه. و في هذا الصدد نجد أن المقدس يقف مقابل الدنيوي، أو المدنس.

هناك تعريفات أخرى تشير إلى اعتبار المقدس يدل على ما هو ديني وطقوسي، أو هو يتعلق بالرمزي مقابل المادي، و المتعالي مقابل السفلي.

فما من مرة إلا ويحضر المقدس كمتعال وكمفارق وكمحايث أيضا، ويحتل مكانة عليا في النسق الرمزي للوقائع و التمثلات، ويصير دالا على الإلهي في مقابل البشري و الدنيوي." فكل سؤال عن المقدس يتحول إلى سؤال عما يعارضه ويخالفه، وكل تعريف للمقدس، يحيل إلى تعريف ما يعارضه".[1]

وإذا ما عدنا لإميل دوركهايم، أثناء تشريحه للأشكال الأولية للحياة الدينية، يتبين لنا أنه يقترح زوجا تقابليا يتكون من المقدس و المدنس(Sacred and profane)، إذ أنه يعتبر بأن المقدس هو السمة الأساسية لتعريف الظاهرة الدينية، علما بأن القداسة في حد ذاتها تنتج عن المجتمع نفسه، ولا تقف بالتالي عند حدود الديني بل تمتد إلى مجالات أخرى.[2]

لكن السؤال الذي يطرح في هذا الصدد هو معرفة أين ينتهي المقدس و أين يبدأ الدنيوي أو المدنس؟ يرى إميل دوركهايم بأن كل المعتقدات الدينية المعروفة بسيطة كانت أو معقدة تفترض تصنيفا للأشياء الواقعية أو المثالية، عبر مستوين متقابلين، يتم الإشارة إليهما بمصطلحين متميزين وهما: المقدس و المدنس.

إلا أن مرسيا إلياد يؤكد على ضرورة الخروج من فخ التعارض هذا، باعتبار المقدس غير متماثل مع الإلهي، ولي س مقابلا فقط للدنيوي، ذلك أن المقدس هو "تجل للإلهي في الزمان و المكان،

---

[1]- نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى،٢٠٠٥.ص ١٧.

[2] - Emile Durkheim : Les formes élémentaires de la vie religieuse. Editions PUF, Paris, 1968.p.3
أورده عبد الرحيم العطري: بركة الأولياء، بحث في المقدس الضرائحي، شركة النشر و التوزيع المدارس. الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠١٤، ص١٨.

والطقوس بالطبع هي التي تضمن إمكان العبور من الزمن العادي إلى الزمن القدسي".[٣]

من هنا فالطقس والرمز، هو الذي يعطي للفعل و التمثل طابع القداسة أو يسحبها منهما، إذ المقدس حسب مرسيا إلياد هو "تجلي شيء ذي حقيقة لا تنتمي إلى عالمنا في أشياء هي جزء مكمل في عالمنا الطبيعي".[٤]

إن هذا التجلي هو ما يلوح في الخطابات و الممارسات و التصورات و القيم و المعتقدات و هو أيضا ما يجعل مساحاته تتسع و تضيق حسب النسق الاجتماعي و الثقافي الذي يتأسس فيه هذا المقدس. وهكذا فالتجلي في الزمان و المكان هو ما يمنح المقدس حقيقته ويمر العبور إليه عن طريق الطقس والرمز، مؤدى ذلك "تزامن بين ميلاد القدسي و المجالي، على اعتبار أن المجال كنظام وكون لا يوجد إلا بتجسد المقدس فيه".[٥]

انطلاقا مما تقدم فإن المساجد و المعابد والمزارات التي تؤثث الفضاء الصحراوي في الساقية الحمراء تعتبر علامات ساطعة على تجسيد وحضور المقدس بأبهى تجلياته، كما أن الأولياء يَسدّون الفراغات الزمنية لأهل الصحراء. والطقوس المرافقة للمشي في اتجاه الأضرحة، تعد تجسيدا واقعيا للمقدس؛ وفي هذا الصدد يذهب نور الدين الزاهي إلى أن هذا التجسيد يعد تصريفا اجتماعيا لسلطة المقدس، "فالطقوسي هو الأفق الذي تتبين داخله بشكل غني ودقيق كل أنماط المقدس، سواء في أشكالها الرمزية، التخيلية و اللغوية والجسدية و الأضحوية أو في أشكالها المادية، والاقتصادية و السياسية".[٦]

وإذا كان المقدس مع مرسيا إلياد تجليا يحل بالزمان و المكان، يتم العبور منه وإليه عن طريق الطقوس، إلا أنه مع روجي كايوا يصبح دالا على خاصية ثابتة أو عابرة، ترتبط بالأمكنة و الأزمنة، ويسجل بأن "المقدس في صورته الأولية البسيطة، يشكل طاقة خطيرة خفية على الفهم، عصية على الترويض، شديدة الفعالية".[٧]

إن المقدس حسب كايوا ليس صفة تملكها الأشياء في حد ذاتها، بل هو "هبة سرية متى فاضت على الأشياء والكائنات، أسبغت عليها تلك الصفة".[٨]

---

[٣]-Mircea Eliade: Le sacré et le profane, Editions Gallimard, Paris, 1965.p.61.

[٤]-MirceaEliade, idem, p.61.

[٥]-Mircea Eliade, idem, p.85.

[٦]- نور الدين الزاهي: المقدس الإسلامي، مرجع سابق، ص.٣٢.

[٧]-Roger Caillois : L'homme et le sacré, Editions Gallimard, Paris.1950.p.40.

[٨]-Roger Caillois : idem, p. 37.

نخلص مع روجي كايوا إلى أن المقدس إنما يعني "مقولة شديدة الحساسية، تعتبر ركيزة وأساس الإحساس الذي يغمر المؤمن، إنها الفكرة الأم بالنسبة لكل ديانة، فالديانة هي إدارة المقدس".[٩]

وإذا ما عرجنا على كلمة ولاية، في سياق بحثنا هذا فنجد في المنجد للغة العربية المعاصرة مفردة ولي: جمعها أولياء مكلف بأمر أو مسؤول عنه، من يتصرف بحرية و استقلالية ولي أمره، و ولي تصرفاته - محب- حليف ونصير. مطيع: المؤمن ولي الله ،صديق (للذكر والأنثى)، وقد يؤنث: "وليّة" عند المسلمين: من استقامت سيرته وكان وجيها عند الناس و مكرما عند الله. و وليّة: تقية، ذات سيرة مستقيمة. [١٠]

وعند ابن منظور في لسانه: ولي، في أسماء الله تعالى، الولي هو الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم و الخلائق القائم بها، ومن أسمائه عز وجل: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرف فيها. قال ابن الأثير: وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليها اسم الوالي.

ابن سيده: وليَ الشيء وولىَ عليه وَلاية و ولاية (بالفتحة)، وقيل الوِلاية (بكسر الواو) الخطة كالإمارة، والوَلاية (بفتح الواو) المصدر. ابن السّكّيت: الوِلاية، بالكسر السلطان، والولاية والولاية النصرة.[١١]

والصلاح عند ابن منظور ضد الفساد، صلح يصلح ويصلح صلاحا و صلوحا. وهو صالح و صليح، والجمع صلحاء وصلوح[١٢]. وفي المنجد للغة العربية المعاصرة صالح: خال من الفساد، متسم بالبر والخير. متبع التعاليم الأخلاقية، سائر في طريق الهدى و الفضيلة. جمعه صلحاء: مستقيم، قائم بواجباته. قائم بما عليه من حقوق الله والعباد: "رجل صالح" بار، تقي، ورع، من يعيش حياة البر والصلاح.[١٣]

إلا أن الفكر الإثنولوجي الكولونيالي حفر بعيدا في هذه المفاهيم ومنها كلمة مْرابط وشريف وصالح وولي. فهذا إيدموند دوتي يقول أنه توجد معلومات عن أصل لمْرَابْطِينْ ، وهي كلمة تعني "الصلحاء"، مبثوثة في مرويات ابن خلدون و البكري وغيرهما، فقد كان رباط ابن ياسين، منشأ ظهور طائفة المْرَابْطِينْ، حصنا منيعا إلى حد ما شأنه في ذلك شأن كثير من الأديرة. و لا غرو أن

---

[٩]-Roger Caillois: idem, p.18.

[١٠]- المنجد في اللغة العربية المعاصرة.الطبعة الثانية ٢٠٠١، دار المشرق، بيروت، ص ١٥٥٩.

[١١] - ابن منظور: لسان العرب، ص ٤٩٢٠.على شبكة الأنترنيت. تاريخ التصفح: ٢٣ يناير ٢٠١٨.
https://ia801606.us.archive.org/9/items/WAQlesana/lesana.pdf

[١٢] - ابن منظور: مرجع سابق. ص ٢٤٧٩ على النت، تاريخ التصفح: ٢٣ يناير ٢٠١٨.

[١٣]- المنجد في اللغة العربية،مرجع سابق، ص ٨٤٧.

هذا الحصن كان نقطة انطلاق الغزوات الناجحة التي قادها المْرَابْطِينْ باسم الجهاد من أجل مد سيطرتهم على المغرب الأقصى. و هكذا نجدهم قد رفعوا عاليا كلمة المْرَابْطِينْ أي مبشرين دينيين مقاتلين. لكن هذا الاسم لم يصبح شعبيا إلا بعد تلك الفورة الدينية التي عرفها القرن السادس عشر. في هذا العصر ظهر في جنوب المغرب الشرفاء الذين سيحكمون البلاد، وبدأت هجرة المرابطين الصلحاء. هكذا وبعد انحدارهم من رباط درعة و سوس، والساقية الحمراء بصفة خاصة، كما تحكي الأسطورة مبعثهم منها جميعا، انتشروا في كل أرجاء بلاد البربر.[١٤]

وكان أوائل هؤلاء الشرفاء مرابطين مجاهدين بحيث أنهم اكتسبوا حظوتهم من جهادهم ضد البرتغاليين، كما يدينون بتألقهم وإشعاعهم إلى نجاحهم في طرد الكفار من أرض الإسلام. لكن وبعد انتهاء المرحلة البطولية تلك، كف دعاة الساقية الحمراء الذين ذهبوا لنشر الإسلام وسط سكان المغرب، عن أن يكونوا مجاهدين، بل تحولوا فقط إلى دعاة لنهضة دينية حديثة في إفريقيا الشمالية، وأصبح الرباط القوي مؤسسة دينية حقيقية، أي زاوية.

وهكذا نجد عند ابن خلدون إشارة إلى مصلح عربي عند رْياح حيث قدم نفسه بالصفة الدينية وأسس زاوية، فسمي مْرابطا هو وأتباعه، وكان ذلك سنة ١٣٠٥، أي قبل الشرفاء المغاربة. ووجدنا بتلمسان– يقول دوتي– كتابة على شاهد قبر صالحة توفيت سنة ١٤٧٢، وصفت بأنها مْرابطة، وهو قبر الحاجة ياسمين، وهذا نعت لا يمكن إلا أن يكون دينيا بحتا . وهكذا أصبح المْرابط في القرن السادس عشر قد تحول من دوره العسكري إلى دور الداعية و المصلح، وأصبحت مهمته سلمية شيئا فشيئا، وسيصبح المْرابط شيئا فشيئا وليا إلى درجة أن الناس لم يجدوا تسمية تعني الرجل الزاهد إلا هذه.

لكن كلمة "صالح" أصبح لها عند الناس مفهوم أكثر توسعا وعموما، فهي تعني اليوم (يقصد دوتي هنا ثمانينيات القرن التاسع عشر) كل أنواع الأولياء و "البلهاء" و الأغبياء و الحمقى، والصرعى، وكل من له معتقدات كونية ومن له إشراقات عُلوية، وأكوام الحجارة وبقايا زيارات الأضرحة، والأشجار، كل بقايا الأشجار القديمة، فكل هذه الأشياء تسمى الآن صلحاء. [١٥]

و اللقالق الموقرة صلحاء، وشجرة الليمون أيضا صالحة، وطيور السنونو و الخطاف، التي لا نعرف منذ مدة ما السبب وراء عدم لمسها، صلحاء أيضا.[١٦]

---

[١٤] - Edmond Doutté : Les marabouts, notes sur l'Islam Maghrébin.Ernest Leroux. Paris. 1905 .
ترجمة :محمد ناجي بن عمر، الصلحاء. مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، إفريقيا الشرق، المغرب٢٠١٤ . ص ٥٢.

[١٥] - Octave Depont et Xavier Coppolani : Les confréries religieuses musulmanes. Alger. Typographie et lithographie. Adolphe Jourdan- Imprimeur-Libraire-Editeur.1897.p130, p144.

[١٦] - إيدموند دوتي: الصلحاء. ص٥٤.

وورود كلمة "صالح" في مقابل ولي يبدو أمرا خاصا بالمغرب الكبير، وهنا نستعمل المغرب الكبير بمضمونه الديني حسب هارتمان الممتد إلى مصر حيث نجد قبور صلحاء مسماة إلى حدود الإسكندرية. ولكن إذا كانت هذه الكلمة أو الاسم مستعملا عند العموم، من النيل إلى المحيط، فإن العلماء لم يستسيغوه جيدا فهم يستعملونه في كلامهم اليومي ولا يستعملونه في كتاباتهم؛ حيث أدركوا ما في هذه الكلمة من ممارسات يرفضها الإسلام.

أما بالنسبة لمدلول كلمة ولي ، فيضيف إيدموند دوتي أن المسلمين عندما يريدون وصف أحد ب"الصلاح" فإنهم يفضلون استعمال كلمة "ولي"، التي تعني حرفيا القريب من الله. و الشائع في المشرق هو استعمال كلمة ولي، بمعنى الذي يناديه الله دون أن يكون ذا تكوين ديني ولا ورع ولا زهد أو تصوف.[١٧]

كيف يمكن إنجاز دراسة و قراءة أنثروبولوجية لزمن الأضرحة و بركة الأولياء في الساقية الحمراء؟

تندرج هذه الورقة البحثية في ظاهرة القداسة – وزيارة الأضرحة إحدى تجلياتها الأبرز- داخل دائرة الطموح الفكري المنفتح، هدفها الرئيسي تحقيق دراسة ميدانية في الموضوع، ومن ثمة انجاز تلك القراءة في ظاهرة متجذرة في التاريـخ و الثقافة؛ لكن ليس بهدف إعادة إنتاج إجابات جاهزة و نمطية، وإنما من أجل طرح أفكار للنقاش حول هذا المقدس، و الذهاب بعيدا في فهم امتداداته و ممارساته، و أخذ مسافة عنه، بعيدا عن أي نظرة دونية أو تمجيدية للتدين الشعبي. ذلك أن زيارة الأضرحة حبلى بالرموز و تتكثف فيها الدلالات وتخبو و تنكشف المعاني و كأننا في فضاء لا نهائي من الأيقونات و الاستعارات التي تتطلب نفسا عميقا للقراءة و الموضعة، متحللين من الأحكام المسبقة. و نستحضر هنا مقولة موريس گودولييه التي يذهب فيها إلى انه على الانثروبولوجي أن يبلل قميصه عرقا من شدة التعب بحثا عن المعنى.

إن هذه الدراسة لا تنحو منحى تبرير المسلك الاعتقادي لزيارة الأضرحة، بل هي تطمح إلى البحث في الديناميات النفسية و الاجتماعية و الرموز و الطقوس الانثروبولوجية التي ترصع نسق الولاية و الصلاح بمنطقة الساقية الحمراء. مؤدى ذلك أن كل اشتغال على المقدس يحظى بأهمية فائقة في المجتمعات التي تتكثف فيها الرموز و الطقوس، وتتداخل فيها علاقات المعنى بعلاقات القوة. إن الرموز داخل مجتمعات الندرة – ومنها مجتمعنا المدروس- حاسمة و مؤثرة في صناعة الوضعيات الاجتماعية. وما من فعل في هذه المجتمعات، مهما بدا بسيطا أو مركبا، إلا ويكثف

[١٧]- إيدموند دوتي: الصلحاء. المرجع السابق. ص ٥٦.

رمزية ما، تصنع معنى ما، يُقرأ و تُفك شفراته، ويقود بالتالي إلى إنتاج وقائع و تمثلات. و الدراسة الميدانية أتاحت لنا، وضع اليد على التمثلات التي يحملها سكان الساقية الحمراء عن القداسة و الأولياء، و بركاتهم و كرماتهم، وكشفت لنا بشكل جلي عن علاقتهم بالموتى؛ وكيف أن زيارة ضريـح أو ولي يقود إليها حلم « Dream »، و هو ما أسميناه الحلم / الزيارة، أو الزيارة / الحلم.

في أصول زيارة الصالحين و الأولياء:

نتساءل الآن ما هي أصول زيارة الصالحين التي نصادفها أينما حللنا وارتحلنا في الصحراء سواء في الساقية الحمراء أو وادي الذهب ؟ بعد أن فند لابي « lapie »، وهو فيلسوف في تكوينه، أطروحة فون مالتزان، الذي يرى أن هذا التقديس ليس سوى ثأر للمرأة داخل الإسلامية، و تفنيده أيضا لنظرة أخرى تفيد أنها سبب دخول العبيد إلى

الإسلام، فانتهى به المطاف إلى القول أن زيارة الصالحين مسألة كونية، و لا وجود لسبب آخر وراءها سوى الشعور الديني للمجموعات شعور يدفعهم إلى اعتبار "الله مرهف الحس ويتخيلونه كما يشتهون... وبالتالي لا تعدو زيارة الصالحين أن تكون سوى انتقام القلب و الهوى من تجريد الوحدانية".[١٨]

إلا أن طقس الزيارة نفسه يمكن أن يتطور في كل مكان، لكن في ظروف و امتدادات أخرى. وما سيكون هاما هو معرفة ما كانت عليه زيارة الصالحين عند سكان صحراء الساقية الحمراء زمن البداوة الكبرى، وهل خضعت طقوس أدائها، زمن الاستقرار المفروض، لتغيرات و تبدلات أم لا؟ ويتابع إيدموند دوتي حفره بالقول: " كان على عادة تقديس الإنسان أن تكون متجذرة بإحكام كي تخلد، وذلك رغم تأثير التوحيد المعادي و الصارم إزائها".[١٩]

من هنا نشأت زيارة الأولياء في القرن السادس عشر بطرق لافتة للنظر، على حين غرة بدافع ديني لم يستطع أي أحد من المؤرخين معرفة طبيعته و تكونه، " حيث انطلق الصلحاء، كما يزعم بعضهم، من الساقية الحمراء لينتشروا في كل أنحاء شمال أفريقيا. وقد شكلوا أرومة من الصلحاء وأسسوا أسرا بل و قبائل مزارية".[٢٠]

ويضيف إيدموند دوتي ما زال الصلحاء الآن يتزايدون بين ظهرانينا. فكل يوم يقوم العامة من

---

[١٨] -Von Maltzan : Reise in den Regentsshaften, TunisiaundTripolis , Leibzig.1870.p9.

إيدموند دوتي: الصلحاء، ص ٢٥.

[١٩] -إيدموند دوتي: الصلحاء، ص٢٤.

[٢٠] - إيدموند دوتي، الصلحاء، ص ٢٧.

الناس بإضفاء القداسة على الصلحاء كأفراد يبدو لهم أنهم تلقوا البركة من الله. وينتقد ترومليي عندما قال عام١٨٨١: " إن الكرامات أصبحت اليو م في ندرة أكثر مما كانت عليه في الماضي".[٢١] و كما يقول اليوم اهل الصحراء: " طارت البركة " أي زالت و اندثرت.

فكاتب هذه الأسطر(هنا يقصد إيدموند دوتي نفسه) المكلف بتسيير هؤلاء الأهالي، لم يمر عليه يوم التقى فيه بأحد من هؤلاء الصلحاء المحليين - بمن فيهم الأحياء- دون أن يحدثه عن بعض الكرامات الحديثة نسبيا للصالح/"الولي" : فعندما حلف أحدهم كذبا على قبر صالح كسر طرف من أطرافه لدى خروجه منه، و أما أحدهم فقد رام الدخول إلى مغارة أحد الصلحاء و ما أن دنا منها حتى رأى كأن بابها يضيق حتى لا يكاد يمر، بينما عبرها رفاقه من المصدقين بسهولة. و قام السيد بلقاسم بن الحاج سعيد بأدوغ بقسنطينة عن بعد بقتل زوجة بوابه لأنه تنبأ أنها ستأتي الفاحشة.[٢٢]

الخصائص المجالية للصالحين و تأثيراتهم المحلية حسب السوسيولوجيا الكولونيالية :

يذهب دوتي إلى أن سيدي محمد بوسعادة استطاع منذ سنوات قليلة إيقاف القطار الذي يركبه لأداء صلاة العصر، وأن السائق لم يستطع استئناف الرحلة إلا بعد انتهاء الصالح من صلاته.[٢٣]

ينظر إلى الولي باعتباره كائنا له قدرات خارقة سيان في ذلك اعتبرنا مصدر تلك القدرات من البركة الإلهية أو نظرنا إليه فقط من ذاته، أو بالنظر إلى المنزلة التي يوليه إياها المؤمنون بولايته ككائن متميز يفوق كل الكائنات الأخرى، وهو ما يحدث أحيانا كثيرة.

رغم أن القداسة ظلت سابقة تاريخيا لكل مؤسسة احتضنتها فيما بعد إلا أنها امتزجت بها لتشكل وجهين للظاهرة نفسها. لهذا لا يمكن أن نعتبر القداسة و الزاوية و الشرف و البركة سوى أبعاد متعددة لظاهرة واحدة ألا و هي الظاهرة الدينية بمعناها الأنثروبولوجي الواسع.

من هنا نطرح السؤال التالي : ما هي التمثلات التي يحملها بدو الصحراء عن الصلاح و الأولياء و الأضرحة عموما؟ و ما علاقتهم بأجدادهم؟ و ما علاقتهم بالموت والموتى؟ تأتي شرعية هذه الأسئلة من معايشة الذاكرة الشعبية في صحراء الساقية الحمراء إذ كثيرا ما نسمع إحداهن أو

---

[٢١]- Corneille Trumlet : Les saints de l’islam, Légendes hagiographiques et croyances Algériennes. Les saints du Tell. Paris. 1881.

[٢٢]-Seddik (al.A Robert) : Fanatisme et légendes arabes locales, in Revue Algérienne, 13(An 2 Sem N° 13.30 Sept 1899, p.408-409).

[٢٣]- إيدموند دوتي : الصلحاء، ص ٣٤.

أحدهم يقول : "جاني فلان في المنام"، و أحيانا يضيفون إليها "وجهه يتلألأ نورا و يلبس دراعة بيضاء..."، وفلان هذا غالبا ما يكون جدا مباشرا، أو أبعد حتى أو قد يكون أيضا وليا صالحا حيا أو مات منذ زمن سحيق، إلا أن بركته لا زالت تطوف حول أرواح هؤلاء البدو؛ وتراهم يعدون العدة ويشدون الرحال للمزارات، رغم صعوبة، بل أحيانا، خطورة المسالك، بسبب وعورتها وأيضا بسبب حقول الألغام.

و غالبا ما يكون الخلاء نقطة البداية للزاوية، إذ ينعزل الشيخ الصوفي في مكان ما للتعبد و الزهد كمرحلة أولى لكي يعمل فيما بعد على نشر تعاليمه و تأسيس طريقة خاصة به. و هنا نطرح السؤال: ما العلاقة الرمزية التي تنسجها خلوة الولي الصالح مع غار حراء؟ و ما هي الصفة التي يلزم توفرها في الولي الصالح؟.

بغية أن يحظى الشخص بصفة "الشيخ" لابد من توفر صفات معينة تميز صاحبها عن بقية الناس، ولعل أكثر هذه الصفات حضورا هي صفة الشرف. يسجل الباحث "بيل" في مؤلف له صادر سنة ١٩٣٨ بباريس :" إن الشرف الذي

أغرى البربر منذ مغامرة إدريس الأول في القرن السابع الميلادي، أصبح لقب نبل اتخذه معظم رؤساء الزوايا و الصوفيين العاديين" .[٢٤]

من هنا يكون الأصل الشريف عادة مبدأ الإغراء كضرورة من ضرورات البداية. إلا أنه في غياب الشرف قد يكون العلم، و لم لا الهذيان أو غير المألوف هو الذي يؤهل الشيخ للقيام ببعض الكرامات و بالغرابة. إن وضع الغرابة يضاهي وضع المقدس، بل إن إحدى وظائف القداسة هي إدماج الغرابة داخل المقدس، بحيث أننا نجد ظواهر في الكون و في الإنسان تدعو إلى القلق و الغرابة، لكن عندما يستوعبها المقدس فإنها تتخذ لها معنى و تفقد بالتالي غرابتها، و النتيجة يصبح التأثير عليها ممكنا.

لابد إذن للشيخ أن يراكم رأسمالا رمزيا من صفات الشرف أو العلم أو ال غرابة و ذلك في بداية طريقه. و عندما يتوفر لديه هذا الرأسمال يشرع في نشر تعاليمه وسط تُبّعِ طريقته.

لابد إذن للشيخ أن يراكم رأسمالا رمزيا، مما حذا بأحد المهتمين بالتاريـخ الديني للمجتمعات شمال إفريقيا كميشو بيللير إلى التساؤل: كيف يمكن لنا أن نفسر أن طريقة جنيد، التي مرت بسلسلة من الأشياخ كأبومدين، و مولاي عبد السلام الغزالي، و الشاذلي، و الجزولي دفعت الناس

[٢٤] - Bel Alfred : La religion musulmane en béribérie.ed P.380, Paris.1938.

إلى أكل الأكباش...".[٢٥]

يمكن تفسير ذلك بكون تلك الطرق تأثرت بالمعتقدات القبلية، و أصبح النظام القبلي يحوي الزوايا و يتضمنها كعناصر أساسية في تشكيل قيمه.

لا بد من القول أنه ما من قبيلة أو مجموعة من القبائل إلا وتضع زاويتها فوق كل سلطة و هو ما يفسر لنا كون الشيخ يعتبر قطبا، على أساس أنه ما من شيخ إلا وهو قطب منطقته. و هناك كم هائل من الأقوال و الحكايات و الأساطير التي تبرز تفوق كرامات الشيخ المحلي على الآخرين.

إن كل مؤسس لزاوية يعلن عادة عن أصله الشريف، وذلك بإثباته عن طريق وضع شجرته الجينيالوجية التي تربطه بذلك الأصل. ولعل وقع هذه الممارسة يعمل على حفر و ترسيخ الشرف في الوعي الجمعي القبلي.

هناك إلى جانب ميزة الشرف، ميزة أخرى لا تقل أهمية عن الشرف تنضاف لرصيد الرأسمال الرمزي الذي يتمتع به الشيخ الشريف ألا و هي "البركة"، و تعتبر العنصر المكمل للشرف. إن "البركة" تجعل بعض المنتخبين وحدهم قادرين على تحقيق الاتصال التام مع الإله. إن هذا الاتصال لا يتحقق إلا عن طريق الشيخ أو الصالح. من هنا تنبع خاصية لا يظفر بها الجميع، بل يحظى بها البعض دون البعض الآخر. يذهب موريس كودولييه إلى أن الايديولوجيا الدينية تعمل كمصدر هام لتأسيس و تبرير مشروعية تبعية الناس بعضهم لبعض.[٢٦]

إن وجود الزاوية داخل بنية كبنية "الدوار" أو" القبيلة " يعكس و يبرر شكلا من أشكال التراتب الاجتماعي داخل هذه البنيات، بحيث تكون التبعية مقبولة إجمالا من طرف العامة لأن سر هذا القبول و الخضوع يكمن في أن الجميع يتقاسم المعتقدات و القيم نفسها، أي الإيمان بالشرف و "البركة". من هنا فمن يتمكن من إثبات توفره على "البرك ة" هو في الغالب الذي يصل أو يطمح في الوصول الى السلطة السياسية و الاقتصادية، هذا ما يشير إليه، على كل حال، بول باسكون في دراسته لزاوية إليغ.[٢٧]

لابد أيضا من ملاحظة كيف تقصى المرأة من "البركة"، و من ملكية السلطة، ومن الملكية بصفة عامة عندما يقرر العرف أنها لا ترث ، و ذلك على مستوى بعض القبائل على الأقل حيث يذهب دافيد مونتجومري هارت « David Montgomery Hart » في دراسته عن القبائل الريفية – في المغرب- إلى أن النساء يعتبرن دائما قاصرات، لا يملكن شيئا من عملهن، و من الناحية العملية

[٢٥]- Micheaux Bellaire : « Les confréries religieuses ». Archives Marocaines.1927.

[٢٦] -Maurice Godelier : Horizon, trajets marxistes en anthropologie. Maspero. 2 volumes. 1973, p.226.

[٢٧] -Paul Pascon : Commerce de la maison d'Iligh. Annales, économie, société, civilisation.1980.p.700-729.

فإنهن لا يرثن.[٢٨]

نستنتج إذن أن النساء الصالحات نادرات إذا ما استثنينا بعضهن، لأن "البركة" محتكرة من طرف الرجال و تقذف بالمرأة إلى ممارسة ما يناقضها كالسحر و الطقوس الوثنية.

أدوار الأولياء أو ماذا يفعلون؟

انطلاقا مما تقدم نسجل أن الولي الصالح يقترن معناه بفئة معينة من الناس تتسم بالزهد و الورع، و المسالمة و السخاء، و الكرم، و سعة الصدر، فما هو عمل الولي الصالح؟

يقوم الولي الصالح بدور متميز على المستوى السوسيوثقافي ذلك أنه أداة الوصل بين القبائل و بينها وبين النسق الديني السائد. فهذا الرجل يعلم و يشرح، ويوضح الإشكاليات الدينية التي تطرح عليه، لاشك إذن في أنه يقوم بدور فعال و أساسي على مستوى البنية السوسيوسياسية. فهو متميز أخلاقيا و دينيا في وسط المجتمع البدوي نظرا لأهمية الدور المجتمعي الذي يضطلع به و الخدمات الاجتماعية التي يسديها لهذا المجال. وهو الدور الذي أفرزه مجتمع لديه اعتقاد قوي في الكرامات من جهة ، ومن جهة أخرى أن هذا المجتمع يعيش في وسط طبيعي أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه قاس مما ولد خوفا مزدوجا من سخط الطبيعة. فهناك ظاهرة الحر الشديد والجفاف، وهناك الشساعة، شساعة الأرض و المدى مما قد ينجم عنه تيه لحيوانات القطيع، و أحيانا للإنسان رغم أنه خبر تضاريس بيئته، ها هنا يتدخل الولي الصالح من أجل:

التكفل بحماية الناس و ذريتهم و أمواله م ضد نوائب الدهر، و قوى الشر المرئية منها و الخفية، و ما يجلبه رضاه على الناس من بركة في الأحوال و الأموال و صحة الأبدان. يضطلع بمهام التحكيم، و إصلاح ذات البين سواء بين الأفراد أو بين الجماعات في حالة نشوب نزاعات أو صراعات.

مما لاشك فيه أن ضريـح الولي الصالح يحظى بقدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد و بالمنازعات الجنحية، و كثيرا ما يكون الضريـح مزارا للشفاء من الأمراض الفيزيقية و النفسية. كما أن نفس الضريـح تتم زيارته للتبرك بغية الإنجاب، وتنعقد قربه مواسم لا تخفى أهميتها الاجتماعية و الاقتصادية و الروحية، ولم لا السياسية.

يوفر الولي الصالح وسائل الإقناع الأخلاقية و عناصر الوساطة التي تنتهي إلى نتائج يقبلها الجميع؛ فهو يشكل حجر الزاوية لنظام الأعراف المحلية و لنظام التحكيم لدى "لفريگ " و هذا الأخير ليس سوى تجمعا للخيام لا يقل عن العشرة، و لعلها مشتقة من كلمة "فريق" في اللغة العربية،

[٢٨] - دافيد مونتجومري هارت: القانون العرفي الريفي. ترجمة محمد الولي. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. الرباط. مركز الترجمة و التوثيق و النشر و التواصل. سلسلة الترجمة و التوثيق و النشر و التواصل. سلسلة الترجمة ٢٠٠٤. رقم: ٣. الصفحة: ٣٣.

وذلك بالنسبة للهجة الحسانية التي يتكلمها أهل الساقية الحمراء. وبهذا العمل فإن الولي الصالح يثبت الأمن و الاستقرار، حتى وإن كانت المضامين الأسطورية تخترق عمله و مؤدى ذلك تثبيت و تدعيم صورته المقدسة والمتعالية.

إن الأسطورة تصنف الولي الصالح ضمن مقولات خاصة به مسبقا: كريم، سخي، فاضل و يقوم الليل ويصوم النهار، و النور يتلألأ من أعلى محياه؛ و يفوض أمره للمشيئة الربانية فكأن هذه المقولات ليست خاصة بصالح معين، بل هي مجرد قاعدة يصر المترجمون الاتقياء على وضع أبطالهم داخل سياقها.[٢٩]

إن ظاهرة تقديس الولي الصالح تبتعد عن أن تكون تعبيرا عن شكل تدين بربري بدائي أو عن رفض واع للإسلام كما اعتقد وروج لذلك الاستشراق و الانثروبولوجيا الاستعمارية لزمن بعيد.

إن الإسلام في الصحراء إسلام بسيط، و مع ذلك لا يبلغ اكتماله إلا في تلك الحالة القصوى التي هي القداسة. فالخاصية الطبيعية الجمعية لطقوس البدو في صحراء الساقية الحمراء تظهر بعيدة عن روح الإسلام و هو ما يفسر، من جهة، نقد الفقهاء الشديد لها، ومن أمثلتهم الشيخ محمد المامي من خلال مخطوطه "جمان البادية". ومن جهة أخرى، تصنيفها من قبل علم الاجتماع الاستعماري ضمن دائرة السحر في تعارض مع الدين. و إذ يعتبرونها طقوسا زراعية، فإن علماء الاجتماع، مثل الفقهاء، يبتعدون عن فهم تمفصل هذا الكل المتراتب الذي ليس غريبا عن المجتمعات الإسلامية. إن الأمر يتعلق بتعايش واضح على مستوى اللاشعور الثقافي و الجمعي بين آلهة و معتقدات

ما قبل إسلامية و بين مقدس الدين الجديد ضمن التدين الشعبي. و تقديس الأولياء هو ركيزة التدين الشعبي ذي المكونات المختلفة: طقوس، ذبيحة، سحر، جن، شيطان، تطير و "معروف" (و المعروف في حسانية أهل الصحراء هو طقس أضحوي نسوي بامتياز. بمعنى أن النساء هن اللواتي يشرفن عليه، ويقمن عليه؛ وذلك بأن يجتمعن في خيمة/منزل إحداهن، و يتشاطرن ثمن الذبيحة وكل متعلقاتها. وبعد ذلك يقمن بتقسيمها على أكبر عدد من العائلات، خاصة المعوزة منها. ولظاهرة المعروف دواعي عديدة؛ ليس ها هنا مجال تفكيكها، حتى و إن تبين لنا من خلال معايشة الظاهرة أنها تتآخى مع المقدس، و تلتف من حوله).

إن هذه المكونات المتعددة تشكل عمارة دينية تنهل من تجربة واحدة للمقدس، تندرج و تتكامل

[٢٩]- عبد الله حمودي، الانقسامية و التراتب الاجتماعي و السلطة السياسية و القداسة، ملاحظات حول أطروحات گلنير. "الأنثروبولوجيا و التاريخ، حالة المغرب العربي"، مجموعة مؤلفين، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق. دار توبقال للنشر.١٩٨٨. المغرب. ص ٨٤.

و تتصارع ضمنها. و التعايش ضمن إسلام الصحراء ليس تعايشا سكونيا، بل تناقضيا و تكامليا في نفس الآن بين مكوناته الدينية و الثقافية، ويتخذ صيغة يطلق عليها جاك بيرك صفة التدرج، أي تدرج المقدس، و هذا التدرج يمكن تحديده في ثلاثة مستويات: مقدس شعبي، و بعد إسلامي ثقافي، و مقدس باطني متعالي.

إن الرموز و الدلالات التي تحاصر الحياة اليومية لسكان الصحراء لتبين مدى الارتباط الوثيق الذي يربط الانسان بالأشياء و الأماكن المقدسة. لقد سج ل ميرسيا إلياد بأن المجال المقدس مجال مبعثر و غير منظم، وليست له حدود قارة بالمقارنة مع المجال العامي كمجال منظم، مبني و ممركز.[٣٠]

نفس الشيء يقره روجي كايوا؛ فالمجال المقدس هو مجال التواصل، يكون فيه الاتصال مع العالم غير الدنيوي اتصالا ممكنا، إذ تتحطم داخله المستويات المختلفة للكون، كالسماء و الأرض و باطن الأرض. تكون القداسة إذن المجال الذي تلتقي فيه كل المستويات وتنمحي فيه الفروق. لذلك تتوحد على مستوى القداسة كل الفرق و القبائل و تنمحي كل الحدود "العرقية" التي تفصل القبائل فيما بينها، وكذلك التي تفصل فرق هذه القبائل الواحدة عن الأخرى. كما لا يفوتنا هنا أن نسجل أن جورج بالانديه يذهب في مؤلفه الانثروبولوجيا السياسية، بأن المقدس يكون أحد أبعاد الحقل السياسي، إذ يلاحظ نوعا من التوازي بين مستويات السياسي التي تطابق مستويات القداسة " بحيث يبرر الأعيان سلطتهم و امتيازاتهم بالولوج إلى أضرحة الأجداد و بوضعهم الجنيالوجي".[٣١]

و في مجال الدراسة - الذي هو هنا الساقية الحمراء - لاحظنا ميدانيا بعضا من "الأعيان" يرسلون النحائر إلى الأضرحة، و في حالات أخرى يقومون بترميم تلك الأضرحة، وذلك لكسب مزيد من الرضا المجتمعي.

إذا ما تساءلنا الآن عن تجليات المقدس في المكان أو المجال أمكننا القول أنه يتجلى سواء بواسطة "الحويطة" أو ببساطة بواسطة " الكركور" (و الكركور هذا لا يعدو كونه كومة من الحجارة متراصة بعضها فوق بعض كعلامة) مما يؤدي إلى اللاتجانس التام بين عالم القداسة كعالم له نقطة استدلالية تتكون من هذه "الكراكير" الموضوعة في أماكن ثابتة، وبين العالم العامي أو المجال العام على حد تعبير يورغين هابرماس، كعالم متحرك بتحرك نقطة استدلالية كالسكن، الخيمة أو" لفريگ". تتحرك الخيمة و" الْحَيّةُ" (و التي هي هنا قطيع الماشية

[٣٠] -Mercia Eliade : Le Sacré et le profane, Gallimard, Idées, 1965.P
[٣١]- Georges Balandier : L'anthropologie politique. Puf. Paris, 1967.P

بِحَسّانِيَةِ أهل الصحراء) و" الفريگ"، و لا يتحرك "الكركور" أو الحويطة المحيطة بالضريـح مما يجعل من المقدس موطنا للاستمرارية و الثبات، و بالتالي جسرا يربط الحاضر بالماضي ويربط الوحدة القبلية أو وحدة "لفريگ" بما يوجد خارجها.

أثار انتباهنا أثناء العمل الميداني ردود أفعال المبحوثين لما نطرح عليهم سؤال: من هم أولياء و صلحاء الساقية الحمراء؟ ذلك أنه يصيبهم نوع من الاستغراب و الدهشة، إلا أنهم يردفون "تبارك الله، من تريد منهم، فهم كثر و واد الساقية الحمراء يزخر بهم "؛ فيبدأون بتعدادهم. لكن لا غرو في ذلك ما دامت حاضرة السمارة تعد العاصمة الروحية و العلمية للصحراء. من هنا كثافة أوليائها، وشد الرحال إلى مزاراتها طمعا في بركات أوليائها. كتب ماسك راي سنة ١٨٨٦: "لقد نشأت زيارة الأولياء في القرن السادس عشر بطرق لافتة للنظر، على حين غرة بدافع ديني لم يستطع أي أحد من المؤرخين معرفة طبيعته و تكونه. حيث انطلق الصلحاء، كما يزعم بعضهم، من الساقية الحمراء (...) لينتشروا في كل أنحاء شمال أفريقيا" .[٣٢]

يضيف أدموند دوتي: " و القبائل التي لم تستطع أن تتصل بشريف معروف اتخذت لها شريفا ما، ذا أخلاق حميدة (...) و القبائل التي لم تتخذ هذا المسار أصبحت استثناء و كلما سألتهم عن جدهم يجيبونك بطرق متفاوتة أنه جاء من الساقية الحمراء"[٣٣] . نخلص من خلال الدراسات السيوسيولوجية الكولونيالية ومن خلال الدراسة الميدانية إلى أن منطقة الدراسة هي مركز للأولياء و الصالحين.

الدراسة الميدانية: ابتدأ العمل الميداني من ٢٥ دجنبر ٢٠١٧ لينتهي في ٢٥ فبراير ٢٠١٨، وتم استعمال تقنيتي الاستمارة و المقابلة، إضافة الى أسلوب الملاحظة بالمعايشة. لا بد من الإدلاء بملاحظة تتعلق بالاستجابة القوية للمبحوثين ميدانيا، على الرغم من عدم تعودهم على هكذا أبحاث.

بداية نشير إلى أن مجموع المبحوثين الذين شملتهم الدراسة الميدانية بلغ مائة وأربعة وعشرين (١٢٤) فردا، وكان اختيار العينة عشوائيا. وجاءت موزعة على الشكل التالي:

ثمانية وستون (٦٨) استمارة خاصة بالذكور، قمنا بتوزيعها - إجرائيا - إلى فئتين عمريتين. أسمينا الفئة الأولى بالفئة العمرية الشابة، وقد وصل عدد أفرادها إلى ستة وخمسين (٥٦) مبحوثا. و اسمينا الفئة الثانية بالفئة العمرية الكبيرة، والتي بلغ عدد أفرادها اثنا عشر(١٢) مبحوثا.

[٣٢] -CF Masqye Ray : Formation des cités chez les populations sédentaires del'Algérie. Paris. 1886, p 122.

[٣٣] - ادموند دوتي، الصلحاء، مرجع سابق، ص ٧١.

بينما بلغ عدد استمارات الإناث اثنين وعشرين (٢٢) مبحوثة، تم توزيعها هي الأخرى إلى شقين: الفئة العمرية الشابة والتي بلغ عدد أفرادها عشرون (٢٠) مبحوثة، والفئة العمرية الكبيرة ووصل عدد أفرادها إلى مبحوثتين اثنتين(٠٢).

وبلغ عدد المقابلات التي قمنا بإجرائها نحو أربعة وثلاثين (٣٤) مقابلة؛ جاءت موزعة بين الذكور والإناث على الشكل التالي: ثمانية عشر(١٨) مقابلة للذكور تم توزيعها إلى فئتين الفئة العمرية الشابة والتي ناهز عدد أفرادها ثمانية (٠٨) مستجوبين؛ بينما بلغ عدد أفراد الفئة العمرية الكبيرة عشرة (١٠) مستجوبين. في حين بلغ عدد الإناث اللواتي قابلناهن ستة عشر(١٦)؛ منهن أربعة (٠٤) تنتمين للفئة الشابة، في حين أن الفئة العمرية الكبيرة من الإناث بلغن نحو اثنا عشر(١٢) مقابلة.

والفئة العمرية الشابة هي الفئة التي تبلغ من العمر ثمانية عشر ربيعا (١٨) حتى حدود التاسعة و الأربعين عاما (٤٩)؛ في حين أن الفئة العمرية الكبيرة هي التي تبلغ من العمر خمسين عاما (٥٠) فما فوق.

تفريـغ نتائج العمل الميداني:

السؤال: ماذا تمثل بالنسبة لك زيارة الأولياء والصالحين؟

الأجوبة المتحصل عليها في شق الاستمارات ذكورا وإناثا، والتي تبلغ تسعين ((٩٠) استمارة):

أجوبة الذكور في شق الاستمارات وعددها ثمانية وستون (٦٨):

نماذج من أجوبة السؤال الأول في استمارات الذكور من الفئة العمرية الكبيرة وعددهم اثنا عشر(١٢):

زيارة للشرفاء، للتبريك (من البركة)، عمل روحي، تذكير بالموت، موعظة وصدقة، صلة وصل بين الأحياء و الأموات.

حصلنا على إحدى عشر (١١) إجابة عبرت عن التمثلات التي يحملها أصحابها عن زيارة الأولياء والصالحين والأضرحة في شق الاستمارات من الفئة العمرية للكبار، مع الإشارة إلى حالة واحدة(١) اعتبرت هذه الزيارة بمثابة بدعة.

أما بالنسبة للفئة العمرية الشابة، والتي يبلغ عدد أفرادها ستة وخمسون (٥٦)؛ في شق الاستمارات المتعلقة بالذكور، فقد حصلنا على نماذج الأجوبة التالية: إرث ثقافي ديني سياحة روحية، التقرب من الله ببركاتهم، ارتباط روحاني بالذات الإلهية عبر تذكر الموت وملتقى عائلي بين الأحباب، مكان للكرامات.

وصل مجموع هذه الحالات إلى أربعين (٤٠) جوابا تصب كلها في اتجاه زيارة الأضرحة والأولياء كمكان للبركة والكرامات.

وقد حصلنا على ستة عشر (١٦) جوابا من هذه العينة لا تعني لهم هذه الزيارة شيئا أو هناك من اعتبرها بدعة؛ مع ملاحظة أن بعض هذه الحالات ترى أن الأولياء ذوو كرامات وأنهم يسمعون عنهم الكثير وانه سبق لهم أن قاموا بطقس زيارة الأضرحة.

أجوبة الإناث في شق الاستمارات، اثنان وعشرون (٢٢) استمارة:

الفئة العمرية الشابة (٢٠) استمارة، نماذج من الأجوبة: زيارة دينية، ورثناها عن أجدادنا للتبرك، معتقد بدائي نوعا ما، حكمته الطبيعة والمعتقدات الروحانية، مناسبة لاجتماع أفراد القبيلة والتعارف فيما بينهم، وتوطيد صلة القرابة، كما أنها تذكير بالآخرة وبالموت. وصلت هذه الحالات الى تسعة (٠٩) أجوبة.

لا تمثل شيئا بالنسبة لي: ستة (٠٦) أجوبة.

معتقدات وموروثات تنافي الدين: جواب واحد (٠١).

ضرب من ضروب الجهل وعادة تواتر الناس على القيام بها في الماضي، وتراجعوا عنها في الحاضر بعد التنوير. جواب واحد (٠١).

هي عادة قديمة ومتجذرة في المجتمع الصحراوي، إذا نظرنا بشكل معمق فيها سنجد أنها تدل على تخلف وجهل من يؤمن بها. جواب واحد (٠١).

بدعة: (٠٢) جوابان.

أما بالنسبة للفئة العمرية الكبيرة فقد حصلنا على حالتين (٠٢) ، إحداهما تمثل لها زيارة الأولياء والصالحين تبريكا وتقديسا، أما الثانية فكانت ضد زيارة القبور.

أجوبة الذكور في المقابلات، ثمانية عشر (١٨) مقابلة:

الفئة العمرية الشابة ثمانية (٠٨) مقابلات:

ملاحظة: تم تدوين بعض أجوبة المقابلات باللغة المحلية/الحَسَّانْيَةُ.

شِ خَلاّوهْ لْنَا لَسْلَافْ، و وْعَيْتْ عْلَى وَالْدِي إِگُولْهَا، بمعنى شيء تركه لنا الأسلاف، وأذكر أن أبي كان يقول بها عرف، تقاليد، موعظة، التبرك والعلاج. بلغت هذه الحالات سبعة (٠٧) أجوبة.

وأجابت مقابلة واحدة (٠١) بأن زيارة الأولياء والصالحين بدعة.

الفئة العمرية الكبيرة، عشر (١٠) مقابلات، نماذج من الأجوبة:

الاستشفاء بإذن الله، تذكير بالموت والرحيل، للتبرك/البركة، أَلاَ شِي خَلاَّوْهْ أَوَايَلْنَا، بمعنى شيء

تركه الأسلاف وصلة رحم، راحة نفسية ولقاء روحاني.

أحصينا هنا عشرة (١٠) أجوبة عبرت عن تشبثها بزيارة الأولياء والصالحين والأضرحة؛ أي عمليا كل أفراد هذه العينة.

أجوبة الإناث في المقابلات، ستة عشر (١٦) مقابلة:

الفئة العمرية الشابة أربعة (٠٤) مقابلات. أجبن جميعهن بأن هذه الزيارة هي مهمة بالنسبة لهن.

نماذج من أجوبتهن:

ورثتها أبا عن جد وأومن بها، عرف وصلاح وصلة رحم، تذكير بالموت، خَلاَّوْهَا لْنَا أَجْدَادْنَا. بمعنى تركها لنا أجدادنا.

الفئة العمرية الكبيرة اثنا عشر (١٢) مقابلة: مما جاء فيها: عادات ألفناها أبا عن جد، أولياء الله، أحب زيارتهم لسبب أو بدونه، مناسبة للترحم على الموتى وتذكر الموت، فرصة للتبرك والدعاء، زيارة شريفة، و تْفَكدنا بْشِ صَالْح، و تَجْمَعْ النَّاسْ اِلّي مَاكَطْ أجَّابْرِتْ/ أي تذكرنا بالأشياء الصالحة، وتجمع أناسا لم يلتقوا من ذي قبل.

حصدنا عشرة أجوبة (١٠) تصب في نفس اتجاه زيارة الأضرحة والأولياء، وحصلنا على جوابين (٠٢) يقولان بالتتابع أن الزيارة لا تجوز والأخرى تقول أنها كانت تقوم بالزيارة ولم تعد؛ إلا أنه بتتبع الأجوبة الأخرى لهذين الحالتين وجدنا أنهما زارتا بعض الأولياء؛ بينما كان سبب الزيارة بالنسبة لإحداهن بغية بلوغ حلول البركات، في حين أن الحالة الثانية كانت تنشد التداوي، كما أنهما تعتبران الأولياء والصالحين شرفاء وأولياء صالحين.

لما نقوم بجمع الاستمارات والمقابلات المتعلقة بالذكور نحصل على ستة وثمانين(٨٦) حالةثمانية وستون (٦٨) منهم في صلب ظاهرة زيارة الأضرحة والأولياء. وبدمج استمارات ومقابلات الإناث نحصل على ثمانية وثلاثين(٣٨) حال ة ترى أهمية هذه الزيارة؛ أي عمليا كلهن. وعند إضافة أجوبة الذكور إلى أجوبة الإناث تكون النتيجة مائة وستة (١٠٦) حالة هم مع ظاهرة الزيارة، بنسبة ناهزت ٨٤,٨% من مجموع المبحوثين البالغ عددهم، كما أسلفنا، مائة وأربعة وعشرين(١٢٤) حالة.

الأجوبة المتحصل عليها بالنسبة لسؤال:

هل سبق لك أن قمت بزيارة ضريـح أو صالح أو ولي بمنطقة الساقية الحمراء؟

أجوبة الذكور الذين سبق وأن أدوا طقوس الزيارة في شق الاستمارات، والبالغ عددهم ثمانية وستين (٦٨) حالة.

الفئة العمرية الشابة ستة وخمسون (٥٦) استمارة:

حصلنا على أربعين((٤٠ جوابا زار أصحابها الأولياء والأضرحة؛ بينما أجاب ستة عشر (١٦) بجواب النفي.

الفئة العمرية الكبيرة، اثنا عشر(١٢) استمارة: أجابوا جميعا بنعم، لنحصل على (١٢) جوابا.

وبذلك يكون مجموع الذكور، في شق الاستمارات هو اثنان وخمسون (٥٢) حالة ممن يقومون بزيارة الأولياء والأضرحة.

أجوبة الإناث في شق الاستمارات، اثنان وعشرون(٢٢) استمارة.

الفئة العمرية الشابة عشرون(٢٠) استمارة.

ستة (٠٦) منهن سبق وأن قمن بطقس زيارة الأضرحة، في حين أن أربعة عشر(١٤) منهن لا يقمن بها.

الفئة العمرية الكبيرة، حالتان (٠٢).

واحدة(٠١) سبق وان قا مت بزيارة الأولياء، في حين أن الأخرى أجابت بلا. وبذلك يكون مجموع الإناث في شق الاستمارات اللواتي يقمن بزيارة الأولياء والأضرحة هو سبعة (٠٧) حالات.

أما في جانب المقابلات، والبالغ عددها أربعة وثلاثين (٣٤) مقابلة، كما أسلفنا، فقد كانت حصيلتها كالتالي:

أجوبة المقابلات في صف الذكور، ثمانية عشر (١٨) مقابلة.

أجوبة الفئة العمرية الشابة ثمانية (٠٨) مقابلات.

أجابوا جميعهم بأنهم سبق لهم وقاموا بزيارة ضريـح أو صالح أو ولي، وذلك بنسبة ١٠٠%.

أجوبة الفئة العمرية الكبيرة عشرة (١٠) مقابلات: نفس الأمر حصل لهذه الفئة كما الفائتة إذ أجابوا جميعهم بأنه سبق لهم أن أدوا طقوس زيارة الأضرحة بنسبة ١٠٠%.

أجوبة الإناث في شق المقابلات ستة عشر (١٦) مقابلة.

أجوبة الفئة الشابة أربعة (٠٤) مقابلات: قاموا جميعهن بزيارة ضريـح أو ولي، بنسبة ١٠٠%.

أجوبة الفئة العمرية الكبيرة اثنا عشر(١٢) مقابلة: أجبن جميعهن بأنهن يقمن بزيارة الأولياء والصالحين بنسبة ١٠٠%.

بذلك يكون عدد الذكور مجتمعين (استمارات و مقابلات)، والذين قاموا بطقوس الزيارة هو سبعون (٧٠)، ويكون عدد الإناث مجتمعات أيضا هو ثلاثة وعشرون (٢٣)، ليكون مجموع الذكور والإناث الذين يؤدون طقوس زيارة الأضرحة والأولياء هو ثلاثة وتسعون (٩٣) بنسبة ٧٥%.

أجوبة المبحوثين عن سؤال: ما هي أسباب زيارات الأولياء والصالحين والأضرحة؟

أجوبة الاستمارات والبالغ عددها تسعون (٩٠) استمارة:

أجوبة الذكور في شق الاستمارات، والبالغ عددهم ثمانية وستين (٦٨) استمارة.

نماذج من أجوبة الفئة الشابة، ستة وخمسون (٥٦) استمارة: صلة الرحم ، و تذكير بالموت، اكتشاف مكان وطبيعة تواجد الشيخ سيد أحمد الركيبي، الدعاء عندهم لأن الدعاء عندهم شبه مستجاب، تقديم صدقة قربانا إلى الله، إحياء عبادة التفكر والتدبر و الموعظة، موسم سنوي يقوم به أبناء هذا الولي او ذاك، الهروب الى التصورات الأخروية، من أجل أن يشفى أحد أقاربي، الترحم عليهم، طلب العون والبركة، الدعاء لهم والتقرب الى الله والتبرك به سياحة روحية. (٥٦) جوابا بنسبة ١٠٠%.

نماذج من أجوبة الفئة الكبيرة ، اثنا عشر (١٢) استمارة: زيارة من أجل طمأنة النفوس المحبة لله والرسول، الترحم على روحه وجميع الأموات، في إطار وفد رسمي، اثنا عشر (١٢) جوابا بنسبة ١٠٠%.

أجوبة الإناث في شق الاستمارات، اثنان وعشرون (٢٢) استمارة.

نماذج من أجوبة الفئة الشابة وصلت الى عشرين (٢٠) استمارة: الرغبة في التعرف عن قرب على أولياء الساقية الحمراء باعتبار انتمائي للمنطقة، وإعجابي الشديد بالأدوار الهامة التي قاموا بها، والتي مست ميادين مختلفة (سياسية اجتماعية دينية..)، زيارة قبر جدي ومن معه للترحم عليه، اعطت أيضا عشرين (٢٠) جوابا بنسبة ١٠٠%.

نماذج من أجوبة الفئة الكبيرة (٠٢): سبب الزيارة سياحية واكتشاف المناطق الصحراوية التي لم أتعرف عليها بعد جواب واحد (٠١)، في حين أن الثانية لم تجب.

أجوبة المقابلات أربعة وثلاثون (٣٤) مقابلة:

أجوبة الذكور في شق المقابلات ثمانية عشر (١٨) مقابلة.

نماذج من أجوبة الفئة الشابة ثمانية حالات (٠٨): رفقة الوالد، الموعظة والترحم على أولئك الصالحين، موسم سنوي، زيارة عائلية. عدد الإجابات: ثمانية (٠٨) بواقع ١٠٠%.

نماذج من أجوبة الفئة الكبيرة (١٠): الفضول، طقوس عائلية للترحم على هؤلاء، لقربه من الله حسب التاريخ التبرك والموعظة، مرض، و يَطْلَسْ مُولاَنَا أسْرَاجِي/ أي يشفيني الله يُوغَدْ عِليَّ شِي وَ لاَّ إِبْلْنَا و نْسَنْدُو على الأولياء/أي تضيع منا أشياء أو إبل ونتبرك بالأولياء، العقم مَّلِّي/ أي أن الأولياء ناجعون في علاج العقم. نتوجه إليهم فيكونون بمثابة اتصال بيننا وبين الله. طلب

شفاء أحد أقاربي (ابن عمتي).

كان عدد هذه الأجوبة عشرة (١٠).

أجوبة الإناث في شق المقابلات ستة عشر (١٦).

نماذج من أجوبة الفئة الشابة أربعة (٠٤) مقابلات: تذكير بالموت وترحم عليهم، سلف عرفوا بالأمور الصالحة ومن الواجب زيارتهم.

كان عدد هذه الأجوبة أربعة (٠٤)، بنسبة ١٠٠%.

نماذج من أجوبة الفئة الكبيرة عشرة (١٠) مقابلات: طلب الخلف/ بمعنى طلب الذرية للاستشفاء والتبرك، أخذ البركة، لطلب الله تحقيق المراد، مصادفة أثناء الترحال في البادية. بصراحة حلم؛ حلمت وكأنه ناداني للزيارة، التداو ي، حلول البركات.

كان عدد هذه الأجوبة عشرة (١٠) .

إن مجموع الأجوبة المحصل عليها أعلاه، والتي تعزو سبب الزيارة لسبب أو لآخر هو مائة وواحد وعشرون(١٢١) حالة، بنسبة ٩٧,٥% .

الأجوبة المحصل عليها حول سؤال:- ما الذي تعرف أو تسمع عن أولياء و صلحاء الساقية الحمراء؟

أجوبة مجموع الاستمارات (ذكورا وإناثا) تسعون (٩٠) استمارة:

أجوبة الذكور ثمانية وستون (٦٨) استمارة.

أجوبة الفئة الشابة من الذكور ستة وخمسون (٥٦): أصحاب كرامات وأناس دين، لهم بركات خارقة، التعبد والزهد في الحياة الدنيا، إعمار أرض الصحراء، أقرب إلى الله تعالى نسمع الكثير من الكرامات وأشياء خارقة علماء وفقهاء وسلف صالح، عرفوا بورعهم واستقامتهم واشتهروا بكراماتهم، أتقياء مجاهدون ومتعبدون وشرفاء صالحون، أسمع عنهم نفعنا الله ببركتهم الكثير من الحكايات الشفهية التي يتداولها أبنائهم منهم من يطير في الهواء ومنهم من حول الله له الحجارة ذهبا، ومنهم من يصارع الجن. الأول سيدي أحمد العروسي والثاني الشيخ سيد أحمد الركيبي والثالث الشيخ ماء العينين. يسمع عنهم الشيء الكثير منه ما هو ديني كالورع والتقوى ومنه ما هو ميتافيزيقي كالكرامات وغيرها، الصدق والورع والتقوى، أولا مكانة هذا الاسم في ذاكرة المجتمع الصحراوي كونها منطقة جهادية تحمي وتستقطب المجاهدين و الثوار ضد الغزاة الأجانب، أسمع

أنهم كانوا أهل سلم وأمن بالمنطقة وأهل فقه ودراية بعلوم القرآن وأصول الفقه، جل الأولياء الصالحين يتميزون بكرامات من عند الله ولكل قصة شبه إعجازية تميزه عن باقي البشر، يقول البعض أنهم لديهم بركات عند زيارتهم مثل شفاء الجنون أو طلب الذريةالساقية الحمراء موطن المجاهدين والمقاومين. بلغ عدد هذه الأجوبة أربعة وسبعين (٧٤) حالة.

أما الذين لم يجيبوا فكان عددهم تسعة (٠٩).

نماذج من أجوبة الذكور في الفئة الكبيرة اثنا عشر (١٢) استمارة: كانوا مقاومين ضد المستعمر البرتغالي والاسباني والفرنسي، شرفاء أهل التقوى وأهل الورع يخافون الله، أنهم كانوا صالحين وحاملي العلم كما أنهم كان لهم دور كبير في فض النزاعات وكانت زواياهم مراكز لطلب العلم، أن لهم كرامات وبركات وأنهم كانوا أتقياء وعباد صالحون يعلمون الناس ويدلونهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأثيرهم كب ير على ساكنة المنطقة من الجانب الروحاني، يشفون المرضى.

بلغ عدد هذه الأجوبة عشرة (١٠) في حين أن واحدا لم يجب بينما الثاني أنكر وجودهم.

أجوبة الإناث في شق الاستمارات، اثنان وعشرون (٢٢) استمارة:

نماذج من أجوبة الفئة الشابة عشرون (٢٠) استمارة: أناس كانوا يتميزون بشدة تقربهم إلى الله وحفظهم للقيم النبيلة واتصافهم بصفات كثيرة منها الكرم والجود والعطاء في حياتهم وكذا حفظهم للقرآن، ينتمون إلى الدوحة الشريفة (آل البيت) اتصفوا بالورع والتقوى، كانت لهم كرامات مثل تحويل التراب إلى ذهب، وطي الأرض والذهاب الى الحج، والإتيان بالمصاحف والسبحات، شرفاء و أولياء صالحين.

عدد هذه الأجوبة إحدى عشر (١١)؛ في حين لم تجب ثلاث (٠٣) مبحوثات، بينما أجابت ستة (٠٦) منهن بلا شيئ.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الكبيرة (٠٢): أولياء الساقية الحمراء لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، نسمع أنهم أولياء صالحين (رَانّاَ متْبرْكِينْ بِيهمْ) بمعنى نحن نرجوا بركتهم.

أجوبة الذكور في شق المقابلات ثمانية عشر (١٨) مقابلة:

نماذج من الفئة العمرية الشابة ثمانية (٠٨) مقابلات: أولياء صالحون، شرفاء يشهد لهم بالعلم والتقوى والورع تاريخهم زين وسمعتهم زينة سِيّانِ حَيِّينْ أو مَيِّتِينْ، أتقياء الله ولديهم البركة، أهل علم وكرامات شرفاء الأصل (البعض منهم).

عدد هذه الأجوبة بلغ السبعة (٠٧)؛ في حين لم تجب حالة واحدة (٠١).

نماذج من الفئة العمرية الكبيرة عشر (١٠) مقابلات: مشايخ وشرفاء ولهم بركات، يملكون كرامات من عند الله التسليم أعرف أنهم قادرون على كل شيء، أولياء الله الصالحين وأهل دين وفقه وعلم وشرفاء.

بلغ عدد هذه الأجوبة تسعة (٠٩) مع عدم إجابة حالة واحدة (٠١).

أجوبة الإناث في شق المقابلات الستة عشر (١٦) مقابلة:

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة، أربعة (٠٤) مقابلات: ببركتهم ويساعدون الناس على الشفاء من بعض الأمراض والعثور على المفقودات (الإبل وغيرها) والحلي والمجوهرات، من أولياء الله الصالحين معروفون بكراماتهم.

بلغ عدد هذه الأجوبة المحصل عليها أربعة (٠٤) حالات، بنسبة ١٠٠%.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الكبيرة الاثنا عشر (١٢): شرفاء، أولياء صالحي ن، التسليم لأولياء الله الصالحين في أي مكان، أصحاب دين وفقه وعلم ، لهم بركات وقدرات منحها لهم الله ، يعالجون الناس بإذن الله، شرفاء لهم احترام في المنطقة.

بلغ عدد هذه الأجوبة: اثنا عشر (١٢) حالة، بنسبة ١٠٠%.

قمنا بجمع كل إجابات المبحوثين في هذا السؤال فوصلت النتيجة إلى مائة وثلاث (١٠٣) حالة، بنسبة بلغت ٨٣,٠٦ %.

أجوبة المبحوثين عن سؤال:- هل سبق لك أن عشت تجربة توحي ببركتهم؟

أجوبة الاستمارات والبالغ عددها تسعون استمارة (٩٠).

أجوبة الذكور في شق الاستمارات، والبالغ عددها ثمانية وستين (٦٨) استمارة .

أجوبة الذكور في الفئة العمرية الشابة، والبالغ عددها سبعة وخمسين (٥٧) مبحوثا.

المبحوثون الذين أجابوا بلا؛ بلغ عددهم ثمانية وأربعين (٤٨) حالة.

أما عدد المبحوثين الذين عاشوا تجربة توحي ببركة الأولياء فقد ناهز التسعة (٠٩)، وهذه بعض منها: ذات يوم كنت قد ضللت الطريق ليلا فناديت سيدي أحمد الركيبي فإذا بنور يسطع من بعيد واهتديت. تجارب عديدة ومنها رؤية سيدي أحمد الركيبي وذهبت لزيارته وتحقق ما رأيته في منامي والحمد لله. توجهت لأحد الأولياء بالطلب لقطيع من الغنم ضاع مني وطلبت هذا الصالح باسترداد القطيع وذاك ما تم. لقد رأيت بعض الصالحين في المنام ورأيت بعضهم يقظة يَنْفَعْنَا بِبَرَكَتِهِمْ، أي نفعنا الله ببركتهم.

أجوبة الذكور من الفئة العمرية الكبيرة اثنا عشر (١٢) استمارة.

ثلاثة (٠٣) منهم عاشوا تجربة بركة الأولياء نسوقها كما حصلنا عليها: شفاء والدي المريض، كنت مصابا بانهيار عصبي في فترة من الزمن وفدت العائلة بزيارة إلى جدنا سيد أحمد الرقيبي، وذات يوم رأى والدي ثعبانا أسود وسمع صوتا يقول فابنك سيشفى؛ وبعد فترة وجيزة شفيت بفضل الله وعونه.

أما عن بقية المبحوثين في هذه الفئة فلم يسبق لهم أن عاشوا هكذا تجارب؛ ووصل عددهم إلى تسعة (٠٩).

أجوبة الإناث في شق الاستمارات والبالغ عددهن اثنين وعشرين (٢٢) استمارة.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة من الإناث، عشرون (٢٠) استمارة: تفريـج الكروب وتخفيف عن المهموم. جواب واحد (٠١) حصلنا عليه لدى هذه الفئة، في حين أن تسعة عشر (١٩) من المبحوثات لم يسبق لهن أن عشن ذات التجربة.

أجوبة الإناث في الفئة العمرية الكبيرة، والبالغ عددها اثنتان (٠٢) :

لم يحصل أن عاشتا أي تجربة توحي ببركة الأولياء.

أجوبة المقابلات البالغ مجموعها أربعة وثلاثين (٣٤) مقابلة ما بين الذكور والإناث:

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة من الذكور ثمانية (٠٨) مقابلات: في هذه الفئة حصلنا على تجربة واحدة (٠١) فقط و هي التي تقول: ذهب أحد أبناء الولي الصالح محمد سيد العربي وهو طريـح الفراش لزيارته وفجأة جاء الفرج. أما السبعة (٠٧) المتبقون فلم يسبق لهم أن عاشوا هذه التجارب.

نماذج من أجوبة الذكور من الفئة العمرية الكبيرة، عشرة (١٠) مقابلات: كان ابن عمتي مقيدا قرب ضريـح سيدي أحمد الراگب، وبينما نحن جلوس دخل علينا ضاحكا دون قيود (سلسلة) وهو يقول لقد جاءني جدي وقال لي اذهب فقد شفيت.

مرات عديدة تتيه الْحَيّة (قطيع الماشية بالحسانية)، وأتبرك بالأولياء وتَحْلَف عَنُّو جَايْ أَرَگَاجْ صَايْگُها/ بمعنى مرات عديدة يفقد ماشيته ويتوجه إلى الله من خلال الأولياء، وتحلف أن إنسانا ما هو من يقتاد القطيع إلى حيث مضارب الخيام. وبالنسبة للمرض مثلا: بِنْتِي تْفَرّحْ آلمتها ضرسها كثيرا، وسَكْنتْهَا دَوْسَة" دَوَار"رِگدْنَا حْذَا الصّالح الولي وجَابْ مُولاَنَا الشفاء. ذهبت بسيارة في زمن يقل فيه النقل ووقع لنا عطب وأوقفتها عند ضريـح الشيخ سيدي أحمد الركيبي وناديته متوجها بروحه إلى الله ورجعنا وكأن العطب لم يكن.

عدد هذه الحالات لم يتجاوز الثلاثة (٠٣)، في حين أن السبعة (٠٧) المتبقين لم يعيشوا هذه

التجارب.

أجوبة الإناث في شق المقابلات والبالغ عددها (١٦) مقابلة:

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة من الإناث، أربع (٠٤) مقابلات: إنها رؤية إذ رأيت في منامي قبل زواجي ضريح أَبّا لَعْبَيْدِي، ولم يسبق لي أن رأيته قط، تنبعث منه رائحة البخور (تِيدَگْتْ) بعدها تزوجت بأحد حفدته.

جاءني في المنام الشيخ سيدي أحمد الركيبي و أخذ بيدي وقمت بجولة وأنا نائمة حتى قرب سيدي أحمد الفيرم وعدت.

بلغ عدد هذه الحالات اثنتان (٠٢)، في حين أن اثنتان لم يقيض لهما أن عاشتا مثل تلك التجارب.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الكبيرة من صنف المقابلات الاثنتا عشر(١٢): مَا كَنْتْ نُولَدْ بمعنى كنت عقيمة وقمت بزيارة سيدي أحمد الركيبي ونذرت أن أسمي ابني باسمه في حالة ما إذا رزقت بمولود، وفعلا ذاك ما تم. شفائي من الوهم. أحسست بالبركة وكأن شيئا يقول لي أن أمري سيتحقق.

وصلت هذه الحالات إلى خمس (٠٥) نساء تجلت لديهن بركة الأولياء؛ بينما السبعة (٠٧) الأخريات لم يعشن هكذا تجارب.

إن مجموع الفئات المدروسة والتي عاشت تجربة تجليات بركة الأولياء والصالحين بلغ أربعة وعشرين (٢٤) حالة بواقع ١٩,٣٥%.

الأجوبة التي حصلنا عليها من المبحوثين فيما يتعلق بالسؤال الأخير في هذه الدراسة الميدانية، وقد تم طرحه على الشكل التالي:

هل سبق أن حكى لك أحد عن تجربة تجليات بركة الأولياء والصالحين عاشها هو أو غيره؟

أجوبة الاستمارات، تسعون (٩٠) استمارة.

أجوبة الذكور في شق الاستمارات والبالغ عددها ثمانية وستين (٦٨) استمارة.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة، والبالغ عددها ستة وخمسون (٥٦) استمارة: إن هذه الأجوبة التي تم الحصول عليها تحكي عن تجارب عديدة لتجليات بركة الأولياء تتوزع ما بين عموميات مثل قضاء أغراض هكذا، أو شفاء أمراض أو حكايات كثيرة تتحدث عن بركة الأولياء. إلا أنه في باقي الحالات التي أوردها المبحوثون تكون بركة الولي الصالح جلية من مثل شفاء المس و الصرع و الجنون، والحصول على الذرية، وكذا الطيران، وتحويل الرمل إلى ذهب. كما أن من

تجليات بركتهم الإخبار بأمور شخصية والإخبار بأحداث مستقبلية. هناك أيضا ذاك الولي الصالح الذي دفن أسفل تلة وفي الصباح وجدوه فوقها. ومن بركاتهم أيضا طي الأرض (تقريب المسافات)، وإبعاد الشر عن الغنم خاصة الذئاب. كما أنهم يشفون بعض الأمراض الجلدية والنفسية والعضوية. كما تم ذكر الولي الصالح الذي يتنقل من مكان إلى آخر محلقا في الأجواء بسلهامه/البرنس زمن الاحتلال الاسباني للصحراء. وأيضا بركة ولي كان يسقي الناس من قدح زمن القحط، فيشرب الناس من ذياك القدح دون انتقاص من كمية الماء وهذه من بركة الأولياء.

كان عدد مبحوثينا الذين حكوا لنا عن هذه الكرامات والبركات ثلاثة و ثلاثون (٣٣) حالة في حين أن ما تبقى منهم لم يسبق أن حكى لهم أحد عن تجليات بركة الأولياء والصالحين وقد بلغ عددهم ثلاثة وعشرين (٢٣) حالة.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الكبيرة في جانب الذكور، اثنا عشر (١٢) استمارة: يحكى عن الولي الصالح الشيخ سيدي أحمد الركيبي أنه جاءه رجل عين من إحدى القبائل بالمنطقة بجماعة أبطيح، قرب الطنطان بوادي أعبر وكان قد اشترى منه بعض الحاجيات حيث أمره أن يحفن من تلك الأرض (يقصد التراب) ويجعلها في الأكياس مقابل ثمن المواد. فملأ أكياسه وعندما ذهب عند أهله وجدها كلها بدل التراب أصبحت ذهبا، فتعجب من هذا الأمر .

حكى أحدهم أنه ذات يوم زار الشيخ سيد أحمد الرقيبي ووجد هناك نصف كيس من الدقيق وحمله معه في سيارة لاندروفير، فقال له زميله يا هذا اترك عنك الدقيق في الزاوية. فقال له لا سأحمله معي في السيارة؛ لكن الأخير لم يستسغ هذا التصرف وأنكره. ركبوا السيارة وفي الطريق قرب منطقة الْحَبْشِي ينفجر لغم أرضي من تحت مقعد السائق وفارق الحياة لتوه، في حين لم يصب صاحبه بأذى.

إن هذا السرد يتعلق بأجوبة استمارات الذكور من الفئة العمرية الكبيرة، والبالغ عددها اثنا عشر(١٢) استمارة إنما أعطتنا خمسة (٠٥) أجوبة عن تجليات بركة الأولياء و الصالحين في حين أن ما تبقى منهم، وهو سبعة (٠٧) حالات لم يسبق أن حكى لهم أحد عن تجربة تجليات بركة الأولياء والصالحين، عاشها هو أو غيره.

أجوبة الإناث في شق الاستمارات، والبالغ عددها اثنان وعشرون (٢٢) استمارة:

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة،عشرون استمارة (٢٠): زمن الاستعمار الاسباني كان رجل مسجون فجاءه الشيخ سيدي أحمد الركيبي في صف ة أسد ففتح الزنزانة وأخرجه، حكت لي أمي، أطال الله عمرها، قصتين: الأولى: أن مجموعة من النسوة أضعن جِمَالَهُنّ، فرفعت إحداهن كفيها

متوجهة بالتوسل و الدعاء للشيخ سيدي أحمد الركيبي من أجل العثور على ضالتها، وفي صباح اليوم الموالي وجدت جِمَالِهَا (مْبَرْكَة فْلَمْراحْ)، بمعنى رابضة في مكانها. أما الثانية، ففي إحدى سنوات الجفاف (لْعامْ مْحَالِي)، لم تجد امرأة ما تذبح في عيد الأضحى فتوجهت هي أيضا بالطلب والدعاء متوسلة للشيخ منصور بتادْخْسْتْ (وراء منطقة گْدَيْمْ إِزِيكْ)، وفي الصباح وجدت شاة قرب خيمتها (بها حرف أ) وليست كالماعز (لاهي بغزالة ولا أَرْوِي) شكلها مميز ولم تذبحها تلك المرأة واحتفظت بها لسنوات.

هذه الأجوبة وردت على لسان حال أربعة (٠٤) إناث، في حين أن ستة عشر (١٦) منهن لم يجبن بشيء يذكر.

أجوبة الفئة العمرية الكبيرة، حالتان (٠٢):

كسالفاتهن لم تذكرا أي شيء.

أجوبة المقابلات ومجموعها أربعة وثلاثون (٣٤) مقابلة.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الشابة في صنف الذكور، ثمانية (٠٨) مقابلات: هناك رجل أراد أن يذبح عند سيدي العربي مُولْ "أي صاحب" اَلْمَعْذَرَ لَخْظَرْ وإذا به بشاة عند الضريح. ذهبت عائلة بابنتها للعلاج عند أحد الأولياء وقد اشترط عليهم إشهاره من أجل علاجها وقد حلمت به البنت وشُفِيَتْ.

الولي الصالح بَيًّا الذي يأتيه أناس مقعدون ويُشْفَوْنَ. كان والدي في منطقة راس الخنفرة عام ١٩٩٣ وكان عام مشدود (الجفاف) جاءه رجل في المنام بعمامة بيضاء وقال له أنت مقدم على فعل شيء، ليس في صالحك، اتركه و ألزم مكانك ولا تتحرك من هنا.

ستة (٠٦) من مستجوبينا في هذه الفئة حكوا لنا عن تجارب تجليات بركة الأولياء، في حين أن اثنين (٠٢) لم يتفضلا بأي جواب.

أجوبة الفئة العمرية الكبيرة، عشرة (١٠) مقابلات.

حصلنا على جواب واحد (٠١) عام يقول أن تجربة تجليات بركة الأولياء والصالحين عديدة وكثيرة، في حين أن تسع (٠٩) حالات أبرزت هذه التجليات بالأمثلة: يذكر أن امرأة أصيبت بالعمى، فقصدت سيدي أحمد بن يحيى وشُفِيت. يحكى أن جيوش السلطان لكحل قد أصابت قبائل تكنة في أرضهم وماشيتهم حتى اشتد القحط والشدة على أرضهم مما جعل قبائل تكنة تقصد الشيخ الولي سيدي أحمد الركيبي بالتبرك عنده، وما أن أكرمهم حتى مَنَّ الله عليهم بالمطر والتمر والزرع والخير، ومن ثم بايعوا الشيخ سيدي أحمد الركيبي سلطانا عليهم. حلَّ بعض الضيوف برجل،

وخلال عملية الذبيحة نوى الثواب لروح ذاك الولي الصالح، ومع صبيحة اليوم الموالي وجد نفس الذبيحة تصيح مع الغنم. ح كى لي شخص تقي من أهل الصحراء الغربية أن لديه خادم يقوم برعي الحيوان/الإبل، وذات ليلة جاءه شخص في المنام وخيره بين خيارين: أن تبقى له الإبل والراعي ويَقْصُرَ عمره؛ أو يختار أن يطول عمره ويموت الراعي، ويصاب هو بالعمى وبعد ذلك سيشفى. فوقع الرجل على الاختيار الثاني فوقع ما وقع.

وعاش لسنوات أعمى، وفي أحد الأيام ذهبوا به إلى ولي صالح يدعى عبد الصمد مُولْ "أي صاحب" اَلفَرْسِيَة. فأتوا به إلى القبر، وذهبوا لتناول الشاي. فنام قرب الضريـح وأتاه شخص في المنام وأدخل عودا في عينيه؛ واستيقظ مندهشا وإذا به يرى البعيد والقريب. وأصبح يرى بالبصيرة، يعني يعرف ما سيقع في المستقبل. من ذلك أنه التقى صديقا له يمتطي جملا، فقال له اعطيني هذا الجمل، فقال له لا أستطيع. فرد عليه الولي أنا لا أريده، بل لأنه سيموت قريبا؛ وأردف قائلا إنك ستذهب إلى گْلَيْمِيمْ للتسوق وستجد الخير الكثير. وصاحب الجمل ما كان ينوي التسوق هناك. إلا أن خاله قدم ومعه قطيع من الإبل وطلب من ابن أخته أن يذهب مكانه لبيع القطيع في گليميم. وكان مشارطا (أي يعلم الأطفال القرآن) لدى أناس، وأكرموه بإعطائه الكثير من الخيرات (القمح والشعير..الخ.) وحمل على البعير أكثر من طاقته. وعندما وصل إلى كليميم مات الجمل صبيحة اليوم الموالي فتذكر الرجل قول صاحبه الولي. ذات مرة مرضت بنتي "تْفَرَّحْ" مرضا شديدا وآلمتها ضرسها كثيرا، وسكنتها دوخة (دَوَار) ونمنا أنا وهي قرب الضريـح وأتاها الله بالشفاء. أخبرني أبي أنهم كانوا يقاتلون ضد النصارى، وكان معهم رجل لا يقتله الرصاص، وعندما حوصروا أتت زوبعة كثيفة حجبت الرؤية عن النصارى حتى تمكنوا من الفرار. يُحكى أن الحاج الطيب بعد أن دفن في قبره، وكان هناك امرأة وأخوها يرعيان الغنم، وأخوها كان أبكما، ونام قرب الضريـح ولما أصبح الصبح وجد نفسه وقد زال عنه البكم وأضحى يتكلم.

أجوبة الإناث في صنف المقابلات، ستة عشر (١٦) مقابلة:

نموذج من أجوبة الفئة الشابة من الإناث، أر بعة (٠٤) مقابلات: امرأة جاءها ولي في المنام، لحيته كبيرة، وكانت مهمومة، ولها ولد مريض، فقال لها الولي تصدقي وصلي وزوري ويأتي الفرج. وفعلا ذاك ما حصل.

حصلنا هنا على حكي حالتين اثنتين(٠٢) لتجربة تجليات بركة الأولياء. إحدى المبحوثات لم تجب؛ في حين أن الثانية أجابت جوابا عاما.

نماذج من أجوبة الفئة العمرية الكبيرة من الإناث، اثنا عشر (١٢) مقابلة: توجهت أسرة لديها فتاة

لا تتحرك (مقعدة) لمدة سنة نحو ولي يدعى حمَّى ولد مبارك؛ وجاء في المنام إلى والدها وأخبره أن ابنته ستتعافى شرط أن لا يقيموا احتفالات قرب المقبرة لأن الموتى لا يحبون ذلك، إذ يعتقدون أن المَلَكَ المكلف بالسؤال بعد الموت قد عاد إليهم ثانية.

قامت إحدى العائلات بزيارة لأحد الأولياء، وخلال وجبة الغذاء نفذ الماء؛ إلا أنهم بقوا على حالهم صابرين متمسكين، وأثناء العصر لاحظوا أن كمية الماء التي لديهم بدأت تزداد.

هذه أربع (٠٤) حالات حكت لنا عن تجليات بركة الأولياء كما عاشها آخرون، بينما لم تجب خمسة (٠٥) مستجوبات عن هذا السؤال، واكتفت اثنتان (٠٢) بأجوبة عامة كشفاء الأمراض الصعبة، واستجابة بعض الأدعية، في حين أن واحدة (٠١) فقط لم تتذكر هذه التجليات وقت استجوابها.

وصل مجموع المبحوثين الذين سبق أن حكى لهم أحد عن تجربة تجليات بركة الأولياء والصالحين إلى ثلاثة و ستين (٦٣) حالة بنسبة ٥٠,٨٠ %.

انطلاقا من النتائج المحصل عليها أعلاه، وخاصة النسبة الأخيرة ، والتي تهم تجليات بركة الأولياء كما أسميناها في حقل الدراسة، نسجل أن الأولياء والصالحين، والذين وصفهم ليون الإفريقي بأنصاف الآلهة؛ لازالوا يمارسون جاذبيتهم في منطقة الساقية الحمراء. إذ أن البركة كفعل رمزي هو ما يغذي الولاية ويؤسس الاعتراف بها؛ وبما أنها تعني النماء والزيادة فإنها تظل أعز ما يطلب. فالزائر يلتمس بركة الولي طمعا في نيل ولو القليل من تحقيق الأماني. نفعنا الله وإياكم ببركة العلم والمعرفة.

قراءة في نتائج الدراسة الميدانية:

إن سؤال ماذا تمثل بالنسبة لك زيارة الأولياء والصالحين الذي استهل به العمل الميداني في هذه الورقة أحرز نسبة ٨٤,٨ % من الأجوبة العالقة في فضاء القداسة، يسمح لنا بالقول أن مجال الأضرحة يتكثف فيه المقدس و يش كل فضاء يسمح للزائرين بالفعل والتفاعل الاجتماعيين. وقد حضرت في أجوبة المبحوثين ترسانة من المصطلحات التي تصب كلها في رحاب المقدس، كما تم استحضار كل الخصائص التي يجب أن تتوفر في الولي الصالح ومنها الشرف والبركة والكرامات، زد على ذلك ما يتعالق مع هذه المفاهيم من مصطلحات وردت في أجوبة المبحوثين من قبيل زيارة روحية، وطقس قبلي. وكيف أيضا أن هذه الأضرحة هي صلة وصل بين الأحياء والأموات، وأنها صلة رحم، وتفك العقد، وترد المصائب، وتحقق الأمنيات. وتعتبر هذه النسبة(٨٤,٨%) مرتفعة بالنسبة على الأقل للدراسة الميدانية التي قمنا بها. وهي تعبير صريح لما يحمله مجتمع الدراسة

من تمثلات وتصورات حول زيارة الأضرحة و الأولياء و الصالحين. ولا غرو في ذلك إذ عرفت منطقة الساقية الحمراء تاريخيا بالصلاح و الأولياء، و أيضا كمكان للخلوة و التعبد الذي يحج إليه الراغبون في تحقيق الوصل وبلوغ مراتب الولاية. من ثمة يلجأ الناس في هذه البقاع إلى هذه الأماكن بغية البحث عن العلاج لمجموعة من الاضطرابات النفسية والفيزيقية، وبحثا عن حلول لمشاكل اجتماعية تكون عائقا أمام السير العادي لحياة الناس.

تبقى فئة الأولياء تلك الفئة التي اعترف الناس اجمالا بحدوث ظواهر وخوارق وكرامات على ايديهم، مما جعلهم متميزين عن بقية الناس. ويبقى الولي ذاك الشخص الذي استطاع ان يقبل تفرده الصعب، وعزلته القاتلة من اجل أن يتجلى فيه التفرد والتميز المفارق لكل ما هو طبيعي.

إن أجوبة المبحوثين في سؤال التمثل عن زيارة الأولياء والصالحين تحمل دلالات تتعلق بخوارق هؤلاء الأولياء وبركاتهم؛ وعثرنا في ثنايا أجوبتهم على عناصر أساسية تميز الحكايات المرتبطة بهم، إذ يختل معها منطق الأشياء ونجد أحداثا غير منطقية تتجاوز منطق الطبيعة وقوانينها. فالأولياء حسب الحكايات يعلمون ما لا يعلمه احد ويشفون الإمراض المستعصية، كما يعملون على حل اعقد المشاكل التي يعجز أصحاب العلم والذكاء عن حلها.

من هنا وجب أن لا نتعاطى مع هذه الحكايات من منطق العلم والواقعية، لأن فهمها يتطلب الانخراط في سياقاتها، أي السياقات التي وردت فيها، والأغراض الأساسية منها. ولننظر الآن إلى النسبة التي تقوم بزيارة الأضرحة والصالحين و الأولياء في منطقة الدراسة.

وإذا كان مجال الساقية الحمراء يعج بالأولياء والصالحين فإن سكان هذا الصُّقْع يحملون هذه التمثلات ويقومون بطقوس زيارة الأضرحة والأولياء.

ويلاحظ في منطقة الساقية الحمراء الحضور الكثيف للأولياء في الحياة اليومية لأهل الصحراء، فإذا سقط ماعون تجدهم ينادون جدهم أو وليا بصيحة مرفوقة باسمه: يا فلان وكأنه طلب استغاثة. وإذا تعثر أحدهم، كبيرا كان أو صغير، يطلبون نفس الاستغاثة: يا فلان، وذلك خلال ردود أفعال لوقائع فجائية. بل حتى في الحوارات اليومية نجدهم يقولون اللهم ببركة آبائك و أجدادك حقق مرادي. أو يقولون اللهم ببركة فلان انزل الغيث أو اشف فلانا. وفي حالات النوائب يقولون: ببركة الولي الفلاني ارفع عنا لي ما نكدو به. أي اللهم ببركة فلان ادفع عنا الشرور والبلاء ودرء الأعداء، وهو قول يلخص طلب الدعاء بالتخلص من كل سوء ومكروه وشر.

وزيارة الأضرحة والأولياء والصالحين هذه، من العادات و الثوابت في المجتمع الصحراوي كما خلصت الدراسة الميدانية إلى ذلك، وقد أخذت أبعادا نفسية وروحية للتنفيس عن هموم الإنسان

الزائر، وتعطيه الأمل في تلبية حاجاته التي لا يستطيع تحقيقها وتلبيتها بمفرده. وتعتبر هذه الزيارة في الساقية الحمراء وسيلة لتجزية أوقات جميلة في جو ذي طابع روحاني، مشحون بالتصورات والتمثلات التي يحملها الزائر لهذه الأماكن المقدسة لديه وحاملا في قلبه وذهنه آمالا عريضة في سبيل أن ينال من البركة ما تيسر، وبالتالي يحقق آماله وأمانيه.

وفي علم النفس المعرفي والاجتماعي تعتبر ظاهرة بحث الإنسان عن حلول لمشاكله النفسية والصحية في تمظهرات الحياة كالأضرحة وتقديس الأولياء مسألة طبيعية، إلا أننا في انثروبولوجيا القداسة نروم الحفر في هذه الظاهرة، قصد تشريحها من خلال وضع اليد على التمثلات والتصورات التي يحملها بدو الصحراء إزاء الأضرحة والأولياء والصالحين، وكيف يتفاعلون مع بركات وكرامات وخوارق الأولياء، ليتسنى لنا تفكيك طقوس ورموز هذه الزيارة بغية فهمها، ومعرفة أسباب استمراريتها في عالم يعج بالتغيرات السريعة. كما أننا نروم افتحاص الفرضية القائلة أنه كل ما انتشرت التقانة وأدوات الحداثة، إلا ومال خط الاعتقاد في الكرامات والخوارق نحو الانتقاص، حتى لا نقول الزوال.

وواقع الحال في منطقة الساقية الحمراء يسطر أن زيارة الأضرحة والأولياء والصالحين لا تزال قائمة هنا الآن، وهي نابعة من الشعور بالضعف، وقلة الحيلة أمام فكرة أن الحل لمشاكل البدوي، مترحلا كان أو مستقرا، النفسية و الصحية والاجتماعية لا يمكن حلها إلا من خلال تجسيد القوة الربانية في الصالحين والأولياء، الأحياء منهم والأموات. ولما يتم اللجوء إلى الأضرحة، المتكئة على شرعية الولاية والكرامة، فهل يعلن الزائر عندها، عن تصالح مع جوانب مخفية في حياته؟

لقد حصلت الدراسة الميدانية على نسبة ٧٥,٢ % في المائة من المبحوثين الذين يقومون بطقوس زيارة الأضرحة والصالحين والأولياء، وذلك من خلال السؤال المطروح: هل سبق لك أن قمت بزيارة ضريـح أو صالح أو ولي بمنطقة الساقية الحمراء؟

لقد قمنا عن قصد بإسقاط سؤال: من هو الصالح الذي قمتم بزيارته من التفريـغ، وذلك لما تبين لنا أنهم كثر وبالتالي سيقومون بالتهام قسط وافر من هده الورقة؛ لذلك ارتأينا معالجتهم من خلال تخصيص دراسة لهم تأخذ لها كعنوان: نحو خارطة للأولياء والصالحين في منطقة الساقية الحمراء.

أما النسبة التي تقوم بزيارة الأضرحة و الصالحين والأولياء، فسجلت ٧٥,٢ % من مجموع المبحوثين الذين يؤدون طقوس زيارة الأضرحة. مما يفيد أن القداسة لازالت ترخي بظلالها الكثيفة

على سكان الساقية الحمراء وذلك رغم التبدلات و التغيرات التي خضع لها هذا المكان، ورغم أيضا انتشار مظاهر الحداثة والأدوات التقنية الحديثة. فالمقدس محايث للواقع الصحراوي رغم تبدل الأحوال. أما عن الأسباب التي تدعو أهل الصحراء إلى زيارة ضريـح أو ولي أو صالح فقد حصلنا على نسبة ٩٧,٦ % في المائة من المبحوثين الذين زودونا بأسباب تلك الزيارات. وهي عديدة، وقد مرت بنا بعض النماذج في مرحلة التفريـغ، ومع ذلك وجب القول أن أسباب زيارات الأضرحة والصالحين والأولياء لدى المجتمع المدروس قد تكون بسبب أو دونما سبب، كما عبر عن ذلك بعض المبحوثين. لكن ماهي الأسباب التي تدفعهم دفعا الى إقامة الزيارات تلو الزيارات الى تلك الأماكن؟

إن سبب الزيارة الى ضريـح الولي الصالح لدى أحد المبحوثات تفتقت جراء حلم، إذ أتاها الصالح في المنام وطلب منها أن تزوره، فما كان منها الا أن لبت نداءه. ولدى الكثير من الناس أيضا تأتي الزيارة الى الضريـح قصد العلاج من الأم راض الفيزيقية بل وحتى النفسية وقصد الإنجاب عموما أو إنجاب أنثى بالنسبة للنساء اللواتي رزقن ذكورا فقط، أو بغية إنجاب ذكر بالنسبة لمن رزقت الإناث فقط. لقد دعانا روجي كايوا ، وباستمرار، إلى إعادة المقدس إلى المجتمع فاعلا، حتى يتأتى لنا الحصول على إنتاج تفسير علمي هادئ ورصين لديناميات وأبعاده.

وقد مر بنا في بداية هذه الورقة أننا لن نعالج هذا الموضوع من باب الشجب أو التنويه بظاهرة زيارة الأضرحة والصالحين والأولياء. بقي أن نقول أن هذا النوع من الزيارات تمليه أسباب عديدة وأهداف متنوعة تتوزع ما بين نيل بركة الولي الصالح لتحقيق المآرب أو رجاء الصالح بغية تحويل بركته الى "شر" يصيب الأعداء والحاسدين. ورغم تنوع وتعدد هذه الأسباب من سياحة دينية، إلى حلم، إلى طلب استشفاء أو ذرية، أو تحقيق نجاح، أو دحر الأعداء، إلا أنها جميعها تصب في جبة البركة والرغبة في القبض ولو على جزء يسير من تجليات كرامات وبركات الأولياء.

وعندما نتحول إلى السؤال عن ما الذي يعرفه أو يسمعه مجتمع الدراسة عن الأولياء والصالحين فقد حصلنا على نتيجة ٨٢,٤% في المائة من المبحوثين ممن يبجلونهم و يعطونهم مرتبة عالية من الإجلال والاحترام؛ حتى لا نقول التقديس. فهم يعتبرونهم أهل ورع وتقوى، وشرفاء، ويشفون الأمراض المستعصية، ويساهمون في حفظ الأهل والنسل و الحيوان من الشرور والذئاب. ويعتبرونهم أصحاب كرامات وبركات وخوارق. و مرد هذه التصورات يعود إلى المكانة التي يحظى بها الأولياء والصالحون في مجتمع الساقية الحمراء والأدوار الاجتماعية والدينية التي يضطلع بها هؤلاء الأولياء. زد على ذلك أن ضريـح الولي يلعب أدوارا أخرى يمكن إجمالها في الاتي: فهو يؤدي

وظيفة نفسية، كما عبر عن ذلك المبحوثون. من هنا يعد الضريـح بمثابة مؤسسة للطهارة والتطهير، يتحقق عن طريقها تخليص النفس مما علق بها من أدران ومشاكل. كما ينضاف إلى ذلك أن الضريـح يمكن اعتباره كمكان للاستشارة و اتخاذ بعض القرارات، فضلا عن طلب البركة في جعل بعض أمور الحياة هينة وميسرة. وهكذا نصل إلى أهم رأسمال رمزي للأولياء والصالحين، ويتعلق الأمر بالبركة. وقد تم بحث هذا العنصر ميدانيا من خلال سؤالين اثنين يتعلق الأول بسؤال المبحوث فيما إذا كان قد عاش تجربة توحي ببركة الأولياء. في حين أن السؤال الآخر جاء ليفحص فيما إذا كان قد حكى أحد للمبحوث عن تجربة للبركة عاشها هو أو غيره.

بالنسبة للتجربة الشخصية حول مسألة البركة تبين ميدانيا أن نسبة ١٩,٤ في المائة من المبحوثين ممن قيض لهم أن عاشوها. في حين أن نسبة الحكي عن بركة الأولياء بلغت نسبة ٥٠ في المائة في المجال المدروس. والبركة كفعل رمزي هو ما يغذي الولاية ويؤسس الاعتراف بها، من هنا فحضورها و تواشجها مع الكرامة هو ما يعطي للولي الصالح سلطته ومكانته في المجتمع الصحراوي. وكلما فاضت البركة كلما على شأن الولي الصالح. وهذا أحد المبحوثين الذي جاء مستنجدا بالولي الصالح بغية استرجاع قطيعه الذي ضاع منه وعند توسله اليه استعاد قطيعه بالفعل. ها هنا ينتصر الولي لحاجات زائره و يلبي احتياجاته وطلباته.

من هنا نخلص إلى أن القداسة – وعالم الأولياء وبركاتهم وكراماتهم أحد أبرز تجلياتها تمشي جنبا إلى جنب مع الحداثة في عالم متسارع الخطى. وأخيرا لابد من التوقف عند فكرة الحُلْمِ لدى سكان الساقية الحمراء؛ ذلك أنهم ينفذون حلم زيارة الأضرحة، و يقودهم الحلم إلى الولي. فهل يسعفنا ابن سيرين أو جاك لاكان أو سيغموند فرويد في تأويل الحلم / الزيارة؟

قائمة المراجع العربية

المنجد. (٢٠٠١). *المنجد في اللغة العربية المعاصرة* (الطبعة الثانية). بيروت: دار المشرق.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب* .مسترجع في ٢٣ يناير ٢٠١٨ من https://ia801606.us.archive.org/9/items/WAQlesana/lesana.pdf

دوتي، إدموند. (٢٠١٤). *الصلحاء: مدونات عن إسلام المغرب في القرن التاسع عشر* (ترجمة محمد ناجي بن عمر). شرق أفريقيا: منشورات شرق أفريقيا.

الزاهي، نور الدين. (٢٠٠٠). *المقدس الإسلامي* .الدار البيضاء: منشورات توبقال.

العطاري، عبد الرحيم. (٢٠١٤). *بركة الأولياء: بحث في المقدس الزياري* (الطبعة الأولى). الدار البيضاء: شركة مدارك للنشر والتوزيع.

هارت، ديفيد مونتغمري. (٢٠٠٤). *القانون العرفي القروي* (ترجمة محمد الولي). الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الترجمة والتوثيق والنشر والاتصال (سلسلة الترجمة، رقم ٣).

مجموعة مؤلفين. (١٩٨٨). *الأنثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي* (ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق). المغرب: منشورات توبقال.

قائمة المراجع الأجنبية

Eliade, M. (1965). Le sacré et le profane. Paris: Gallimard.

Balandier, G. (1967). L’anthropologie politique. Paris: Presses Universitaires de France.

Masqueray, C. F. (1886). Formation des cités chez les populations sédentaires de l’Algérie. Paris.

Caillois, R. (1950). L’homme et le sacré. Paris: Gallimard.

Depont, O., & Coppolani, X. (1897). Les confréries religieuses musulmanes. Alger: Adolphe Jourdan.

Pascon, P. (1980). Commerce de la maison d’Iligh. Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 35(3–4).

Trumlet, C. (1881). Les saints de l’islam: Légendes hagiographiques et croyances algériennes. Paris.

Seddik, A. R. (1899). Fanatisme et légendes des localités arabes. Revue Algérienne, 13(2).

Bel, A. (1938). La religion musulmane. Paris.

Bellaire, M. (1927). Les confréries religieuses. Archives Marocaines.

Godelier, M. (1973). Horizon, trajets marxistes en anthropologie (Vols. 1–2). Paris: Maspero.

Durkheim, É. (1968). Les formes élémentaires de la vie religieuse. Paris: Presses Universitaires de France.